

روایات عبیر



آن چینتجز

سندباد و ملائکة الرحمن



www.elromancia.com

مروية

سندباد وملأك الرحمة

مثل حوادث السندباد البحري في ألف ليلة وليلة؛ تحرى أحداث قصة «السندباد وملأك الرحمة».

لوك رودريك الجراح الجديد المسئول عن قسم الحوادث، جاء تسبقه شهرته كباحر ونجم مسلسلات تيلفزيونية؛ ومنذ لحظة مجيئه الأولى اصطدم بملك الرحمة الممرضة ناعومي؛ الفتاة الجادة العنيدة، التي تضطر للعمل فترة إضافية في أحد المطاعم الفخمة لإعالة ابن شقيقتها الراحلة.

يكتشف لوك تلك الوقائع ويعتقد أن توبى طفلها، وبأبى القدر إلا أن يكشف المخبوء، ويظهر ديرك شقيق لوك والد توبى.

وتقع مفاجآت وتتمزق ناعومي بين عواطفها وواجبها.. فهل يبتسم لها قدرها؛ هل ترسو سفينتها على شاطئ الأمان؟؟.

لبنان ١٩,٢٠ ل	الكويت ١٠,٥٠ د	اليمن ٦,٤٠ ر	السودان ١,٢٨٠ م
سورية ١٩,٢٠ ل س	الإمارات ١٩,٢٠ د	تونس ٢٢,٤٠ د	
الأردن ١,٢٨٠ ف	البحرين ٢٢,٤٠ د	ليبيا ١١,٦٠ د	U.K. £ 2,40
العراق ٨٠٠ ف	قطر ١٩,٢٠ ر	المغرب ٨ د	France F 16
السعودية ١٩,٢٠ ر	عمان ٢,٤٠ ر	مصر ٢٠٠ ق	Greece Drs 320
			Cyprus P 2,40



الفصل الأول

سندباد عصرى

«ما المانع؟!» تسالت الكلمات الحادة لتقطع همسات
فى الغرفة المزدحمة؛ وليخيم عليها الصمت المطبق.
اعتدلت المعرصة ناعومى سيلبورن وزفعت هامتها عالياً،
وحدقت فى الرجل وهى تتساءل فى سرها بأى حق يتساءل
عن دوافعها؟ ليس من شأنه إن لم توافق على القيام بمهمة
السيستر؛ وأجابته «لأننى...» وتلعثمت، فهى تعرف على
وجه اليقين؛ رغم حداثة معرفتها بلوك رودريك المفتش العام
الجديد لكاونتى أنه ليس من النوع الذى تنطلى عليه الأعذار
التقليدية، وهى بحاجة لعذر مقبول معقول دونما الكشف عن
السبب الحقيقى. لكنها، عجزت عن التفكير فى أى شىء،
وإكتفت بقولها بهدوء وتأكيده «لأننى لا أريدها».
تعرف أنه ليس مبرراً أصيلاً؛ لكن لن ينكره أحد؛
خصوصاً هو؛ طوحت رأسها للخلف؛ وسقطت أشعة الشمس
المتسللة عبر النافذة على شعرها الذهبى، ولعت عيونها.
«لبوة الأسد فى مأزق» لم تصل الكلمات الهامسة لآذان
أحد غيرها؛ ولكنه أضاف بصوت مرتفع «أفهم» وتردد صدى

صوته في أرجاء الغرفة، لكن بالنسبة لناعومي ورغم لهجته المقتضبة، فهمت الكثير من ملاحظه المتجهمة، وبديه خلف ظهره.

ظنت ناغومي أنه من بدء إستجوابه لها، يحاول تأكيد سلطته، وهو يتحرك محققاً في كل الموجودين في الغرفة، وكان واضحاً أنه إعتاد النظر للناس من أعلى، ليس مجرد كونه طويل القامة مثل نخلة باسقة، ومع ذلك شعرت ناغومي برغبة عارمة في التمرد، فهي لم تعتد هذا الموقف الجديد ولم تجرب هذا الإحساس، بل إعتادت النظر للناس من أعلى مثله. لكن الآن، لا خيار أمامها في مواجهة لوك برودريك، «يا له من عبث، فهي تشعر وكأنها عادت تلميذة في المدرسة، تحاسب على واجب مدرسي قصرت في أدائه».

إلتفت عيونها للحظة في تحدى صامت، وشعرت وكأن حدودها بدأت تشتعل، ومع ذلك حافظت على ثبات نظراتها؛ ولن تكون هي أول من يبعد ناظره؛ كانت عيونها تقدح شرراً في تحدى صريح. وقالت لنفسها؛ سأستطيع ذات يوم أن أنظر لك بإحتقار يا صاحب الفخامة والسمو يا لوك برودريك!! ورفعت رأسها عالياً؛ وهي تتمنى لو تقول ما جال بخاطرها، لكنها لا تجرؤ!! وبدلاً من ذلك إكتفت بصمتها، وقالت في سرها، لست من نوع الفتيات التي يمكنك إغرائهن، أو إذلالهن للركوع تحت أقدامك، مجرد أنك مديد القامة، أسود ووسيم، وتستطيع دائماً تحقيق أغراضك.

«سنناقش ذلك فيما بعد» قالها وهو يحرك كتفه العريض؛ وإلتفت إلى باقي الحشد؛ وأخذت ناغومي شهيقاً عميقاً، لقد أراحها وكأنه يقول لها أمامي أشياء أهم يجب الإلتفات لها،

وأنت أيتها الممرضة مجرد شيء هامش!! ردت ناغومي بكلمات واضحة «لا أظن ذلك يا سيدي لقد إتخذت قرارى» وساد صمت قلق في أجواء الغرفة؛ بحيث يمكن إستماع ديبب النمل!!

إنتهزت السيستر مورفي فرصة التوتر الصامت الذي ترقبه باقي الممرضات في إستمتاع، وأسرعت متقدمة للأمام؛ وفي نفس الوقت حددت ناغومي بنظرة جانبية بطرف عينيها. لم تكن لتصدق أبداً ما جرى لو لم تشهده بعينها، الممرضة ناغومي سيلبورن مشهورة بأنها أهدأ فتاة في القسم «أ» و«إي» وهي الآن تقف في مواجهة المفتش الجديد!! ثم نظرت مورفي ناحية لوك برودريك، وعلى الفور تناست ناغومي وهي تجذب الحزام وتعتده حول خصرها بحركة واحدة، رغم عظمها إلا أنها مثل أى أنثى تقترب من لوك برودريك تقع في فخاخ سحره وجاذبيته على الفور، وإبتسمت له إبتسامة عريضة ولمست ذراعه لمحة إجلال وتقدير، وجذبت ناحية باقى طاقم التمريض في قسم الطوارئ والحوادث المتجمعين في مكتبها.

إرتاحت ناغومي لتحول الإلتباه عنها أخيراً، وتلفتت شاردة وهي تتراجع لنهاية الغرفة، ووقفت بجوار صديقها جلوريا؛ والتي لم يتم تقديمها له بعد، وأومات ناحية السيستر مورفي وهي تتساءل «ألا تعرفين لماذا هي مهتمة بشد مئزر الحزام، لا أظنه من النوع الذي يلقى النظر بمنظار مكبر؛ أو سيهم بواحدة ترتدى نظارة طبية سميكة!!»

كتمت ناغومي ضحكتها «على أية حال، واضح أنه متزوج، ربما من امرأة مسكينة، ولديه أطفال مشاكسين مغرورين مثله!!».

همست جلوريا «تفسير خاطيء؛ فهو عازب، والجميع يعرف أنه لم ينبج أطفال!!» وأنت همساتها فور المناذاة على اسمها وتقدمت للإمام ليتم تقديمها للرئيس الجديد.

بقيت ناعومي وحدها؛ وإنهزت الفرصة لإسترجاع مآدار في إستجوابه لها؛ إيان الدقائق القليلة الماضية. كان مهتماً بباقي أفراد الطاقم ولم ينظر إليها؛ ونظرت إلى كتفيه العريضين بجفاء.

هذا هو الرجل الذي كانت تتحدث عنه السيستر مورفي طيلة إسبوع. وكما أشارت جلوريا من قبل، لن يعتقد أحد أنها شخصياً هي المسؤلة عن تعيينه!! فالطبيب الجراح لوك رودريك حديث العهد بالأسطول الملكي، لكنه مشهور بمغامراته البحرية؛ وأحدثها تحول إلى فيلم تليفزيوني شهير، وهذا الطبيب قامته فارعة، بشرته سمراء داكنة؛ وملاعه متممة كالصقر. قالت لنفسها ربما أنا الوحيدة في طاقم قسم الطوارئ والحوادث التي لم تشاهد فيلم المغامرات «سندباد الجراح»، والتي تعتبر تكراراً وإقتباساً من حكاية «سندباد الملاح» من قصص ألف ليلة وليلة العربية. وتعجبت من هجرته لحياة إستديوهات السينما اللامعة وإختياره لحياة ممارسة المهنة الطبية بشقاها وجفاف أجوائها بالمقارنة مع عالم الفن ومعتته.

فجأة سمعته وكأنه يحيب على تساؤلات خاطرها؛ فلقد كان يرد على تساؤل للممرضة الهندية سواروب راو قائلاً «قررت أنني قد سأمت تلك الحياة الفارغة، وأن الآوان قد حان للإلتصام بالعاملين الحقيقيين، هؤلاء العاملين في المستشفى العام في حي مزدحم» ولوح يديه مشيراً لحشد الممرضات في

الغرفة، اللاتي تبادلن نظرات الإبتهاج، وهن مأخوذات بسحر إبتسامته الفاتنة.

طبعاً كلهن ماعدا ناعومي، حتى دون سبب واضح في ذهنها، إلا أنها قررت عدم الإهتمام به، وعندما إلتفت ناحيتها أدارت رأسها جانباً، ونظرت في ساعة يدها وتهدت في ارتياح؛ وحدث الله على قرب موعد إنصرافها وعودتها للمنزل، وتناست كل شيء؛ وتذكرت توبى الذي ستجده في إنتظارها يذهب جيئة وذهاباً أمام البوابة الحجرية، وهو يستقبلها بحركاته المرحية رغم تلويثه معطفها بالوحل العالق بقدميه، وارتسمت على شفتها إبتسامة وهي تتخيل الطفل اللطيف توبى.

سمعت صوتاً بنبرة ساخرة مازحة يقول لها «أخبرتني السيستر بأن موعد إنصرافك قد حان؛ لم أكن أدري أنك تعملين بشكل مؤقت من خارج هيئة التمريض الرسمية».

ردت في شموخ «لاأظن أن عمل ٣٦ ساعة ونصف إسبوعياً يعد ضمن أسلوب العمل المؤقت» ورفعت عينها في تحدى لنظراته.

«ست وثلاثين ساعة ونصف، يا لها من حذقة!!».

«لست أنا، بل أنت» دوغا النظر إليه ثانية، رغم قلقها من تقدمه ناحيتها بعد ردها المتهكم عليه؛ إلتفتت ناحية السيستر مورفي وقالت «أيمكنني الإنصراف الآن، يا سيستر؟»

ردت بعد تلعم «... بالتأكيد، يا ممرضة سيلبورن».

قالت ناعومي؛ آه، طبعاً لا تريد مضايقة عزيزها الدكتور رودريك، وغادرت الغرفة فوراً، بخطى غير مسرعة، رغم إحساسها بتصلب ساقها؛ ونظرت خلفها سريعاً. لتجد بحراً من الوجوه الفترانية تحوطه بعيونها، جميعهن يستمعن له بإهتمام مبالغ

فيه، وكان كل كلمة يتفوه بها تقطر حكمة خالصة، وقالت في سرها لا يهم سيعرفن سريعا، أنه لا يختلف عن أى شخص آخر، رغم مغامراته المشهورة، فهو الآن مجرد طبيب يارس عمله في قسم الطوارئ والحوادث.
وهي في طريقها أمام مكتب الاستقبال إستوقفتها باولا سكوت وزميلها موظف التسجيل ريتشارد نيكولاس؛ وكلاهما ينوح على فقدان فرصة مشاهدة كل تلك الإثارة.
سألتهم ناعومي «أية أثاره؟ هو مجرد طبيب جديد، ومر علينا كثير مثله من قبل».
تصايحت باولا «آه طبعاً؛ لكن لم يكن أحد منهم بمثل تلك الجاذبية، أو نجم تليفزيونى مشهور» وهي تركز بمرفق ذراعيها على الطاولة وتطوق وجهها بكفها أضافت بهمس حالم «سندباد الجراح».
أضاف ريتشارد «هاها، لم يعد بمقدورى النظر لأى فتاة بعد الآن».
إستغرقت ناعومي في ضحكاتها وهي تقول «ياللبؤس ملاحككم!!» ومدت يدها لتقرب رأسها معاً وتضيف «يجب ألا يقلقكما شيء، باريتشارد، لأن باول ستكتشف فوراً أنه ليس بمثل تلك الإثارة التي تظنها، بل مجرد شخص عادى» لكن ظل شيئاً داخلها يؤرقها ويذكرها بعدم صدقها حتى مع نفسها.
عارضها ريتشارد «صحيح؛ وأنا ليست مسألة مضحكة».
ردت جادة «لا تقلق منه، فهو عجوز وبصلح ليكون والد باولا، والطبيب لوك برودريك ليس خطيراً أو مؤثراً على النساء فهو...»

«أنا لن ألتفت لكلامك، يا ممرضة، وبإمكانى أن أكون خطيراً، بل أخطر مما تصورين».
ففي لحظة واحدة تجمد الثلاثة من وقع المفاجأة، من ظهور الرجل الذى يتحدثون عنه.
غرقت ناعومي في خجلها لضبطها متلبسة بالتيمة واغتيابه وقالت متلعشة «لكننى ظننت..»
أكمل لها جملتها الناقصة ساخراً «أثنى مازلت في المكتب!! حسناً؛ كما ترين بنفسك أنا أمامك هنا - وقبل أن تنصرفى» أسرع ناعومي خطأها ناحية الباب الخارجى، لكنه أضاف «ربما يجب أن أخبرك رغم كبر سننى، مازلت مفعماً بالحياة والنشاط!! ولا تغفلنى عن هذه الملاحظة أبداً» توقف وشعرت ناعومي بتورد وجهها بحمرة الخجل بينما يمدق فيها ويواصل كلامه «فقط تذكرى أننى لم أصل من العمر عتياً ولم أخرف بعد!!»
عجزت عن الرد، وشعرت بإحترق خنودها وضحكاته تصدح وتحترق أذنيها. حتى عندما وصلت موقف السيارات وتقف بجوار سيارتها الرينو القديمة لم يعاودها هدوئها وفكرت حائرة، لماذا كل هذا؟ وهي تدير مفاتيح سيارتها، لماذا لا أجد الرد الملائم عندما أحتاج له؟.
رغم كلامها لباولا وريتشارد أنه مجرد طبيب جديد ورجل عادى، إلا أن لا شعورها يوجع بمشاعر وأحاسيس عميقة تجاهه، غامضة ولا عقلانية، وتعجز عن تفسير ذلك لنفسها، وتمنت أن يقتصر تأثيره عليها فى إطار عملها بالمستشفى فقط ولا يطل على حياتها الخاصة.
لكن صوت العقل أوضح لها، مدى غباؤها، ورغم ذلك

عجزت عن التخلص من حالة التوتر التي إنتابتها وهي تمر بسيارتها عبر إشارات المرور في المدينة، حتى وصلت تحت ظلال الشجرة بجوار الكنيسة الحجرية، ورأت الصغير توبى وهو يتمايل أمام الباب بنفس الطريقة التي توقعته عليها، وأخيراً وصلت منزلها وفجأة تلاشى توترها مثل السحر تحت ظلال الشمس، بينما تركز كل إنتباهها في حالة الطفل البائس. والآن تناست كل شيء عن لوك رودريك. وهي تقول لنفسها في تأنيب حاد للذات لماذا تشغل نفسها به، فهو مجرد رجل، وطبيب في قسمها. والآن تدرك كم كانت متطاولة عليه.

داعبت توبى، وهي تحاول التركيز في متعة عودتها للمنزل في عطلة نهاية الاسبوع، كانت العمة فلو حارسة توبى من يوم الاثنين حتى الجمعة في المطبخ، أمامها هرم من فاكهة الحديقة الطازجة، وتوقفت العمة لحظة عن تقطيف حبات الفراولة لتطيع قبة على جبين ناعومى وقالت لها «إبريق الشاي والكعك الطازج هناك يا عزيزتى، يجب أن أنتهى من عمل المربي - وسنتأخر على موعد تناول الطعام».

وطبعت ناعومى قبة تحية على خدود العمة التفاحية، الملساء الناعمة، وطوحت الحذاء من قدمها، وفوراً بإرتياح تحررها من الحذاء الضيق، وألقت بنفسها على المقعد ذى المسند بجوار النافذة.

وتعبق جو المطبخ برائحة المربي اللذيذة، واختلطت برائحة الكعك الشهية. فهنا تلاشى متاعب الاسبوع، وكأنها مضت من أعوام، وكأنه شيئاً حدث على كوكب آخر. والآن تعيش ناعومى عالمها الخاص؛ عالمها الحقيقى.

لكن العطلة تمر سريعاً، فهي تقضيها في نزهة على

الشاطئ؛ وفي السباحة؛ وفي مساعدة العمة فلو، ورغم استمتاعها بكل لحظة؛ تدرك ناعومى أن حياتها لن تستمر هكذا للأبد. وهي تشاهد الصغير توبى وهو يلعب على الشاطئ، مستمتعاً باللحظات القليلة التي تقضيها معه قبل عودتها إلى المستشفى العام، وتمنت وربما ليس للمرة الأولى، لو أن تيفانى قد عاشت لترى إبنها.

تيفانى شقيقتها الكبرى المحبوبة العنيدة التي ماتت أثناء ولادتها توبى؛ لتتركه لناعومى وعمرها واحد وعشرين عاماً وخريجة حديثة من معهد التمريض، لتتولى مسؤولية رعاية توبى الرضيع اليتيم. ولم يكن هناك سوى العمة فلو الأرملة لترعاه معها.

منذ البداية أدركت ناعومى مدى المسؤولية وشعرت بالغضب من جسامه العباء، لأن شقيقتها الراحلة تيفانى لم تحبرها حتى بإسم والد الطفل الوليد، لأنها توفيت قبل وصول ناعومى للمستشفى في ويلز ذلك المستشفى الصغير المتنقل لإسعاف الحالات الطارئة. والآن وهي تشاهد توبى يلعب، تملو شفقتها إبتسامة حزينة شاحبة؛ وتذكر صلعتها عند علمها بأن تيفانى على وشك أن تضع وليدها. فلم يكن أحد يعرف أنها حامل، والأسوأ أنها ماتت وتركت وراءها طفل مجهول الأب.

وهدأت نفسها لتتخفف من عبء الشعور بالذنب الذى ياكل قلبها «طفل مجهول الأب» هذا ليس صحيحاً؛ دائماً كانت ناعومى لديها فكرة واضحة عن كون والد الطفل، فهو أحد أصدقاء تيفانى الدائمين في شهورها الأخيرة وهو ديرك رودر بيجوس، أحد أبطال سباق السيارات، وبطل العالم فى الأعوام الثلاثة الأخيرة. ولقد قابلته ناعومى مرات عديدة، كان أصغر

من تيفانى، يتمتع بمشاعر فياضة مؤثرة، ومشهور بإندفاعه وجراته فى السباق. فى البداية إبتأها القلق والرغبة فى الإتصال به. ثم استبعدت الفكرة. فكيف يمكن للمرء أن يذهب لإنسان غريب عنه ويقول له «أعتقد أن وليد أختى إينك أنت !!».

وهدأت نفسها وأزاحت أحاسيس الذنب التى تؤرقها، وقالت لنفسها يبدو أن ديرك قد نسى تيفانى ولم يعد يذكر حتى أنها كانت موجودة أصلاً. فلقد ارتبط اسمه عقب مولد توبى بأحد الموديلات ثم بعارضة أخرى، وأخرى، وتزايدت شهرته بكونه «طفل مشاغب مزعج» بعد تكرار حوادث كادت تودى بحياته أثناء السباق.

وإمتلأ قلب ناعومى بالقسوة تجاهه. كلما قرأت عن مغامراته، إمتلأ قلبها بالضغينة وهى تتذكر بمرارة المسكينة تيفانى، التى أمضت حياتها الخاطفة والتى إحترقت هى سريعا بأضواء النجم المشهور الذى جذبها نحوه كالفراشة عندما تحترق نيران الضوء اللامع، كما يفعل النجوم والمشاهير عادة، ودفعت تيفانى الثمن وفارقت المسكينة الحياة وتركت خلفها طفلاً صغيراً يسمى توبى.

وخلال أسابيع محدودة شق هذا الصغير طريقه إلى قلب ناعومى الرقيق، ولم تعد تريد معرفة من يكون والده فعلاً. ولم تعد تطيق أن يشاركها أحد حب هذا الصغير فيما عدا العمة فلو، التى كانت نصيححتها الدائمة لها «لا توقظى ألهوم من سباتها الأبدى !!»

طبعاً كان عليها أن تدفع الثمن، فهى كفتاة جذابة؛ ورغم ذلك لم يكن لها أصدقاء رجال؛ فلقد إكتشفت أنهم يهرين لدى معرفتهم بوجود طفل صغير معها، وهكذا صار سمة مميزة لحياتها،

ولا يهتمها هذا الآن، فهى شخصية مستقلة وذات عزيمه، وهدفها الرئيسى فى الحياة هو رعاية توبى؛ ودخلها من عمل القريض لا يكفى لدفع مصاريف المدرسة الخاصة التى ستلحق توبى بعد أعوام قليلة؛ حيث ينضم لقسمها الداخلى. فالعمة فلو لم تعد صغيرة، ورغم قدرتها على رعايته الآن، فهى تعرف أن الوقت سيمر سريعا وتعجز عن رعايته. وناعومى واقعية فى تفكيرها، فهى دائمة تفكر فى المستقبل وتحوط له قبل أن يفاجئها.

أثناء أيام عملها الأسبوعى فى المستشفى، تنتهز فترات راحتها وتعمل جرسونة فى أحد مطاعم المدينة الضخمة، ويسمى «حافة النهر» وتقتصد كل بنس تكسبه لتوفير النفقات ورسوم مدرسة توبى.

ولم يقلقها العمل الشاق، رغم أنها تتلهف مجيء يوم الجمعة عندما يكون التعب قد أثقل كاهلها؛ فضلاً عن تلميحات البعض عن عدم ملائمة عملها لها. وفجأة داهمتها كلمات لوك رودريك وكأنه بجوارها الآن وهو يقول لها: العمل فى الوقت الإضافى !! آه لو يدري !!.

لكنه لا يعرف ولن يعرف؛ ولن يعرف أحد من المستشفى؛ ولا حتى جلوريا أقرب صديقة لها. فساعات عملها الطوال لا تتيح لها فرصة أية علاقات إجتماعية، وهى مشهورة الآن بكونها تفضل العزلة عن الآخرين.

سريعا جاء يوم الإثنين وبمجرد خروج ناعومى من غرفة تغيير ملابس الممرضات كان أول ما لمحته هو لوك رودريك. كان يخطو عبر الممر، والمعطف الأبيض يتطاير مع حفيف الهواء، بينما كتمه العريض الملفوف العضلات تتدافع أمامه فى تصميم واضح وقوة بادية. «تيفانى»

فكرت ناعومي في سرها وقررت أن الأفضل ألا تقترب ثانية منه، حتى لا تكرر نفس الموقف الخاطيء الذي وقعت فيه يوم الجمعة الماضي، لكن لسوء حظها، أن الرئيسة السيستر مورفي كان لها رأياً مخالفاً، فلقد هبطت السلم وهي تمسك بيدها نظارتها السمكة جداً وبادرتها قائلة:

«لقد وضعتك لمساعدة الدكتور رودريك في نوبة فحوصه الطبية اليوم» وسلمتها برنامج الاسبوع «لقد ناقشنا المهام، ولقد أسعدته اقتراحاتي».

شعرت ناعومي بنفس الضيق الذي إبتابها يوم الجمعة؛ وتأكدت أن لوك رودريك يستغل سحرة وفنتته لتدعن الرئيسة مورفي لأرائه، وأصبح رأيا فيه أنه متمرس على ذلك، وقالت لنفسها وهي متحيرة في سبب وقوع النساء صيداً سهلاً له، لكن هذا السحر الزائف لن يأتى فعله معها، ربما بسبب ماجرى لشقيقتها الراحلة تيفانى.

وهكذا تناولت جدول الإسيوع بقدر من التردد، فلقد كانت تفضل لو بدأت أول أيام الإسيوع مع طبيب آخر غير لوك رودريك، لكن لا مفر أمامها من الإنصياع حتى لا تتسبب في حدوث مشكلة في صباح يوم الإثنين.

وكان تعليقها الوحيد وهي تسرح ناحية غرفة الكشف «سأؤكد من تجهيز كل شيء بنفسى».

جاء ريتشارد نيكولاس خلفها وهي تلصق قائمة المرضى على الحائط التى تضم أربعين مريضاً، وقال هامساً: «يا لها من عطلة إسبوع مزدحم» وطلع معطفه الأبيض «أربع ساعات نوم فقط، وإثنين وسبعين ساعة في النوبة أشعر وكأنى سأقع!!». قالت ناعومي متعاطفة «أنظر» وهي تنظر لوجهه غير الحليق

والجهد «لماذا لا تنصرف قبل أن يلحق بك الطبيب الجديد، لقد رأيت سام بريك يداعب باولا وأنا في طريقى لغرفة الفحص» سام هو مسئول الأمن بالمستشفى.

رد ريتشارد «آه؛ هكذا البعض، لكن ليس أمامى الوقت أو الإستعداد لداعبة أحد!!»

داعبته ناعومي «قلبي يتمزق لأجلك»

رد ريتشارد «تشفقين على موظف التسجيل البائس الوحيد» وبنبرة ساخرة «ماهى خطتك لقضاء الليلة؟»

فاجئهم صوت أجش قادم من الخلف «خطتك يا دكتور نيكولاس يجب أن تنصب على واجبك إن لم أخطأ التقدير» إلتفتت ناعومي ونيكولاس، وتضايقت هى لهذه المفاجأة التى بددت بداية الصباح الهادئة، بينما أضاف الدكتور لوك رودريك «لو كان لديك نشاط زائد ياممرضة، إذن لن تمنعين فى العمل لوقت متأخر الليلة».

ردت متلعثمة «آسفة ياسيدى، أخشى أننى لن أستطيع» وحملت أوراقها متجهة إلى غرفة الفحص.

وعندما إلتفتت لمحة يحدق فيها، وإندهشت لما بدى فى عيونه من استمتاع بالموقف وشيئاً آخر كل منا فى أعماقه لا تدريه. وتحيرت فى معرفة السر الذى دفعه لقول ذلك!! دائماً يتعامل معها بطريقة ترفضها وتأبى أسلوبه هذا. ورمقته بنظرة حادة وخطت خارج الغرفة، وهي تقول ياله من رجل سادى يتمتع بتعذيب الآخرين!!



الفصل الثاني

ملاك الرحمة

تغلبت روحها المهيبة وقيم ملاك الرحمة وكل ما تعرضت عليه من مران على ماثار داخلها من مشاعر الإستهياء التي اغص بها حلقها من سلوك لوك رودريك، وحاولت التركيز على مرضاها البائسين، وأمسكت بطاقات التشخيص الأولى، ونظرت إلى المرضى الجالسين على مقاعد غرفة الإنتظار، لقد راجعت كشوف تحويلاتهم الطبية وفحوصاتهم وراأت أن معظمها متاعب بسيطة وأعراض جانبية، ومع ذلك فهي تتوقع أن هذه الحالات ستلتهم وقت ريتشارد طيلة الأسبوع،

أدخلت أول مريض لغرفة الكشف وكانت حالته حروق شمس، وكان شاباً أحقاً قضى عطلة نهاية الأسبوع كلها في البحر دون ارتداء قميص يستر جلده، وكان جلده محترقا، وقال وهي تساعد في خلع قميصه «سأفعل المرة القادمة يا ممرضة، ولن يخدعني نسيم البحر المنعش مرة أخرى». «لا سبيل»، «لست أول من يرتكب تلك الغلطة»

«لقد أعطاني الطبيب الشاب الذي ذهبت إليه أمس مرهم ومعجون، لكن لن يجدي معي».

إتشمت ناعومي؛ فهو مثل معظم المرضى يعتقد أن لدى الأطباء علاجاً سحرياً لكل شيء «أخشى أنك لن تجد علاجاً سريعا، ويجب عليك أن...». «شكراً لك يا ممرضة، سأفحصه بنفسى، ناولينى الدفتر من فضلك».

عضت شفتيها وإنتحت جانبا وهي تقول لنفسها «أتعاملنى أياها الطبيب العظيم وكأننى أحد عبيدك». «الله يرحمك من هذا» وظلت واقفة صامته، وهي عازمة على ألا تتيج له فرصة تأنيبها مرة أخرى. ولو أراد أن يلعب دور القائد، لقررت أن تكون آخر من يقف فى طريقة!!.

شاهدته وهو يفحص المريض بيد متمرسة خبيرة؛ وتناولت الملف الثانى، وإلتفتت لتفاجأ بأن عيونه مازالت تلتهمها؛ وساورها إحساس غامض وكأنها تتعرض لفحص ميكروسكوبى. وبلا وعى وجدت نفسها مستاءة لقلقها على أحر شفاهها وهل ذاب لونه أم لا؛ وإن كان شعرها قد تناثرت من تحت غطاء رأسها؛ فهذه الأمور فى الأصل لا تشغل تفكيرها.

فجأة قال لها الطبيب رودريك «لا أدري ما كنت تفعلين فى عطلة نهاية الأسبوع، لكنه جعلك تبدين أفضل، فلم تعودى تلك الفتاة العابسة المتهجمة مثل يوم الجمعة الماضى».

ردت ناعومي «شكراً على مديحك الذى باطنه ذم»

ووجدت نفسها تكشر فى وجهه، رغم أن ملاحظته صحيحة، دائماً تبدو فى أفضل حالاتها عقب قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع توبى والعمة فلو؛ وتستعيد حيويتها وتتخلص من همومها وتوترها؛ لكنها لم تتوقع هذا الإطراء المغلف بغمز ولز مريض؛ لم تتوقعه من

لوك رودريك دوناً عن كل البشر، ولذا شعرت بالخجل والإستياء.

لكنه لم يكف عن التحقيق فيها وقال وكأنه يعلن إكتشافاً علمياً جديداً «وحرة الخجل تظهر جالك يا ناعومى».

إندهشت لماداته لها بإسمها الأول، فهذا سلوك غير مألوف، حتى الممرضات لا ينادين بعضهن بأسمائهن الأولى إلا داخل غرفتهن، لذا قالت له بحياء «الرئيسة مورفى تفضل استخدام الألقاب، ياسيدى».

«لقد أبلغت روز— وهذا إسم الرئيسة مورفى كما تعلمين— أننى رغم نيتى فى إدارة دفعة العمل بحزم، سأفضل أن أكون ودوداً، ولذا فاستخدام الأسماء الأولى ملائم».

رفعت ناعومى حاجبها، وهى تقول لنفسها إدارة السفينة بحزم!! هذا يذكرنى بأصوله الملاحية، وعجزت عن منع نفسها من قول «نعم، وهو كذلك ياسيدى» وغادرت الغرفة لتستدعى المريض الجديد.

كان الصباح مزدحماً، لا مجال فيه لأى حديث أو لتبادل المناداة بالأسماء الأولى، وهذا ما تحدث ناعومى الله عليه، فلقد وجدت من المستحيل عليها أن تناديه بإسمه الأول، وحاولت مع نفسها أن تستخدم كلمة «لوك» ولكنها عجزت عن نطقها بصوت مسموع. ولاحظت أنه متجههم وتدخلاته معها حادة موجعة رغم كلامه عن نيته التصرف بأسلوب أليف متورد.

تكررت مرات بحىء جلوريا تحت مبررات إحضار بعض الملاحظات التى نسبت إدراجها فى الملفات، ولكن كان واضحاً أنها تحاول لفت إنتباه لوك دون جدوى. ولم ترتدع حتى بعد قوله لها يجب أن تستعين برنامج لتقوية ذاكرتها!! بدلاً

من التسلل جية وذهاباً عبر الباب بتلك الخطوة المثيرة، مما أخرجها، وحاولت ناعومى تهدئتها، وهى تقول لنفسها مسكينة جلوريا، تبذل قصارى جهدها لتلفت إنتباهه لجذابتها وجالها، أجل فتاة فى القسم؛ لكنه لا يعيرها إهتمامه!!

ناعومى ذات قلب طيب عطوف دائماً تقدم المعروف لزميلاتها، وتعتز بالفضل لذويه، لذا لم تتوانى عن الإعتراف بأن لوك رودريك طبيب ماهر يتمتع بضمير مهنى وطبية فائقة؛ فلقد أشعر جميع المرضى بمدى إهتمامه بشكواهم مهما كانت ضئيلة، وأفرد لكل منهم ما طاب له من وقت.

شاهدته يستحوذ على ثقة صبية صغيرة كان يفحص شفيتها المجروحة، عندما قالت أم الطفلة «لن تسمح لك إيماناً بالإقتراب منها فهي لم تسمح لى بلمس شفيتها».

لكن على الفور بدأ لوك رودريك فى جعل الفتاة تحق فيه بعيون مذهولة وهو يحكى لها قصصاً عجيبة مسلية وممتعة عن السندباد البحرى، وخصوصاً ذلك البحار الذى كان مجروحاً مثل إيماناً، وقال لها «كان يمثل شجاعتك بل أنت أشجع منه».

ردت إيماناً «ألم يكن أشجع منى؟» فكرت ناعومى أن تسأله من أين جاء بكل هذا التعلق، وهى تنصت مستمتعة لقصته الملفقة للفتاة الصغيرة، التى كانت حيلة بارعة، جعلت إيماناً تسمح له عن طبيب خاطر بفحصها، وإبتسمت ناعومى بعد إنتهاءه من تنظيف جرحها من بقايا الدم المتجمدة، وقالت إيماناً «أحب الأطباء» وردت ناعومى بإبتسامتها «نعم إنهم محبوبون».

غادرت الأم والطفلة غرفة الكشف، وفتح لوك درج مكتبه

ورفع حاجبيه وهو يقول لها «هنا أشياء كثيرة متنوعة، ستندهشين مدى فائدتها لى؛ وأحياناً أدفع الممرضات للتعرف عليها» ولعلت عيونه، وتذكرت ناعومي صور الملاحين فى القصص المصورة.

وردت «نعم، أظنك أعطيت الرئيسة بعضها صباح اليوم!!» وقالت لنفسها كل ما يحتاجه لتمثيل دور البطولة فى فيلم عن القرصان البحرى هو قرط ذهبى فى أذنيه.

رد ضاحكاً «دائماً وجدت طريقة مفيدة فى إكتساب الرئيسة إلى جانبى، وأيضاً الممرضات». توقفت فى طريقها لإحضار المريض التالى وإلتفتت لتحديق فى وجهه وقالت «أنا دائماً فى صف المرضى» وقالت فى سرها ياله من متباهى بنفسه ومغرور، يتحدث عن نفسه وكأن كل الممرضات غارقات فى هواه!!

عندما خرجت لاستدعاء المريض الأخير، ويليام توماس وجدته يقطع غرفة الإنتظار جيةً وذهاباً، ونادت إسمه وإنتظرت أن يسرح الخطى؛ كانت قدمها منهكة لا تقوى على حلقها، وهى تلهف على إنتهاء الفحص حتى تذهب إلى البوفيه ويمكنها خلع حذاءها الذى يسجن قدمها الطويلة وتستريح، دائماً تستحثها جلوريا على شراء حذاء أوسع، لكنها تعاند حتى لا يسيئها منظر الحذاء الضخم، يكفى أن قامتها مديدة، لكن يجب ألا تزيد الطين بله لإظهار مدى ضخامة قدمها، حتى لو قتلها ألم ضيق الحذاء عليها.

قال لها المريض وهو يلحق بها «ألا تعرفين سبب فحصى مرة أخرى؛ لقد أظهرت صور أشعة إكس أننى بخير». أبلغته ناعومي «مجرد فحص روتينى يجريه مفتش الصحة،

ليؤكد أنك بخير فعلاً».

«هل أشعة إكس تخطئ؟»

ردت ناعومي «ستندهش عندما تعرف» قالتها دونما أمل فى صدقها.

مررت تقرير الأشعة فوق المكتب إلى لوك، ووضعت صور الأشعة على حامل الشاشة الصغيرة أمامه؛ ثم وقفت خلفه؛ كان هذا المريض آخر حالة صباحية. والوقت صار متأخراً، وعندما نظرت فى ساعتها تمننت أن تستمتع براحة وقت الغذاء سريعاً. وسمعت صوت لوك يزجر «من رأى هذا المريض؟».

وهى تفحص التقرير ردت «لماذا... الدكتور نيكولاس؛ أظن ذلك» وهى متأكدة من خطئه غير المنسق على الصفحة.

أطبق الصمت وهو يفحص صورة الأشعة مرة أخرى؛ لم ينطق بكلمة، كان يغلى غضباً وسقط قلب ناعومي فى قدمها.

وقالت، ياربى هل سنهب المتاعب.

تحركت ناعومي وإقتربت خلفه وهى تظل فوق كتفيه، وهى تنظر حيث يصوب بإصبعه. كان الخط الرفيع فوق العظمة الرفيعة للمعصم يشير إلى وجود كسر، بحيث لا تلمحه أى عين خبيرة، وكان هناك تأكيد على وجود كسر.

شعرت بالأسى على د. ريتشارد نيكولاس، لأن لوك ليس من النوع الذى يتسامح مع الخطأ، وهذه غلطة فظيعة. وحدثت فى تقريره ولاحظت أن توقيته كان فى الثانية والنصف صباحاً، قبل موعد إنتهاء نوبته الليلية بقليل، وبالتأكيد كان مرهقاً، ولذا لم يلحظ الكسر فى الأشعة. ربما يضع لوك هذا فى إعتباره، ويتسامح معه. «يا ممرضة، خذى السيد توماس إلى غرفة التجبير فوراً» بدا

وكأنه تناسى الإسلوب الودى لإستخدام الاسم الأول، وهو يلقى أوامره ويكتبها لفنى التجبير ويقول لها «وأريد أن أرى المريض بمجرد وضع الجبس له».

ظلت ناعومى صامته رغم دهشتها من طلبه، فالمستشارين عادة لا يرون المرضى عقب وضع الجبس له مباشرة، لكن ملامح وجهها أظهرت قدراً من إندهاشها لذا أجاب على تساؤلها الداخلى بقوله:

«أريد التأكد تماماً أن الجبس فوق الموضع الصحيح. هذا أمر أساسى للتأكد أن الإبهام فى موضعه حتى لا يتحبس الدم».

غمغمت «نعم، ياسيدى» وهى تقود المريض صوب الباب؛ ونفسها تراودها أن تقول له أن فنى التجبير قد أعد جباثر لكسور أكثر مما تناوله لوك رودريك من غذاء ساخن فى حياته، لكنها أحجمت وهى تقول لنفسها الصمت الآن أفضل!!

كان ويليام توماس يزجر غضباً طيلة الطريق إلى غرفة التجبيس وهو يغمغم «كنت أتمنى لو لم أجبىء الآن، ياليتنى بقيت نائماً فى سريرى».

لم تعلق ناعومى على كلماته، واحتفظت بصمتها بصعوبة، لكنه أضاف «صديقى هو السبب فى مجيئى للمستشفى، بعد عودتنا من الحفلة، قلت لهم أنا بخير، منذ وقوعى أمام البار الساعة السادسة» كان يضحك مقهقهاً بحماسة، فإزال يعانى من تأثير الخمر.

سأته ناعومى «أعنى أنك إنتظرت من الساعة السادسة حتى مجيئك هنا الساعة الثانية والنصف صباحاً؟ ألا تدرى

كيف يكون طاقم المستشفى مرهقا فى الساعات المبكرة من الصباح؟ ويقتصر عملهم على الحالات الطارئة».

أجابها بسخف «أنا حالى كانت طارئة فعلاً؛ لقد أوضح الطبيب ذلك بما يكفى، الطبيب الشاب الذى فحصنى فى الصباح سيعاقب على ذلك، أليس كذلك؟ لقد ارتكب خطأ فظيع. ربما يجب أن أرفع ضده دعوى وأقاضيه».

«لأنصحك بذلك، لقد تم تشخيص الكسر الآن؛ ولهذا يقوم الأخصائى بإعادة الفحص» وذهلت لكلامه عن رفع دعوى قضائية!! لكنها واثقة من وقوف لوك رودريك إلى جانب ريتشارد لو حدث ذلك.

كان المريض ويليام توماس على وشك الإستطراد فى حديثه، لولا نظرات ناعومى الصارمة التى أغلقت فيه. وظل صامتاً أثناء وضع يده فى الجبس، وفى طريق العودة لغرفة الكشف.

بمجرد مشول المريض أمام لوك برودريك وألقى عليه نظرة رضى بأن كل شىء على مايرام وجعله ينصرف. ومازالت صورة أشعة إكس مثبتة على الشاشة، وقررت ناعومى أن تحدته «دكتور نيكولاس كان فى نوبته طيلة مايقرب من ٧٢ ساعة عندما جاء هذا المريض».

«هكذا؟»

«وهكذا كان مرهقا؛ ولم يتم سوى أربع ساعات طيلة الـ ٧٢ ساعة وخيط الكسر يمكن لأى إنسان ألا يلاحظه».

«الأطباء مدربون على عدم نسيان شىء. ودكتور نيكولاس يعرف عندما إختار مهنة الطب، أن ساعات العمل طويلة وشاقة. وبخلاف الممرضات، يمكن للأطباء المساعدين إختيار

ساعات عملهم وهو يعرف ذلك». «لكن ريتشارد...» ولم تستطع إكمال دفاعها عنه؛ لتأثرها وخجلها من إشارته وتلميحه لساعات عمل المرضات. رد ساخراً «إهتمامك بالدكتور نيكولاس موثر، وهذا ليس من شأنك حتى لو كان ضمن أصدقائك». حاولت الرد وتراجعت ثم قالت «نعم، ياسيد رودريك» ودارت على عقبها. صحح لها «لوك». فكرت ناعومي أنا أفضل السيد رودريك لأن مناداته بإسم لوك يبدو سلوكاً أكثر ألفة وتودداً، وهذا لا يلائم اللحظة الحالية!! ربما هو طبيب ماهر؛ لكنه لا يحتمل كإنسان، وتجاهلت إيماءته الأخيرة، وإنصرفت صامتة. وهى فى طريقها إلى البوفية كان عليها أن تمر أمام مكتب الرئيسة مورفى؛ وهى جالسة هناك تلهم السندويشات التى تحضرها معها للغداء، وأمامها رواية تتصفحها، وعلى غلافها صورة قرصان بحرى. عندما سمعت وقع أقدام ناعومي نظرت الرئيسة مورفى وسألتها «كيف جرت أمورك مع لوك صباح اليوم؟». قالت ناعومي لنفسها إنها تعيش أحلامها الرومانسية وتخيلاتنا عنه؛ وتغيرت ساخرة إن كانت الرئيسة قد لاحظت الشبه بين لوك رودريك وصورة القرصان البحرى على غلاف الرواية!! وحتى لاتضيع وقت راحة الغداء الثمين إكتفت ناعومي بالرد «على مايرام». أغلقت الرئيسة مورفى كتابها وألقت به على المائدة، ويدها

فوقها. وكتمت ناعومي صحتها، فغرام السيستر مورفى بالروايات الملتية مشهور بين المرضات ومادة للتسلية والسخرية بينهم. قالت مورفى لها «إخترتك خصيصاً لأنك أكفأ فتاة فى طاقم التمريض» توقفت لحظة وأضافت «وأيضاً فكرت أن العمل الصباحى مع الأخصائى الجديد الفاتن قد يدفعك لتغيير رأيك ويدفعك للإلتزام لجدول الورديات وقبول وظيفة الرئيسة الثانية التى نحن فى أمس الحاجة لها، والرب يعرف كم العمل شاق والأوراق مكدسة أمامى». كانت ناعومي ميالة لأن تقول لها أقلمى عن قراءة تلك الروايات وإهمنى بإنجاز العمل، وهكذا ينصلح الحال، لكنها إكتفت بقول «أخشى أننى لن أغير رأيى». «لكن لوك فتان ومحبوب جداً، ومشجع، وأظن...». «الأمر يتطلب سحراً وتشجيعاً أكثر مما يتمتع به لوك رودريك حتى أغير رأيى» وخطت خارج المكتب، ونظرت فى ساعة يدها، وقالت عليها اللعنة أضاعت ربع ساعة من راحة الغداء!! جاءها صوت من خلفها «الرحمة!!» إنتفضت وإستدارت «يبدو أنك معتاد على التصنت على...». «يبدو أنك معتاد على التهجم» رد عليها وعيناه مركزان عليها، وهى غير واثقة من المغزى أهو الإستياء أم المرح؟ لكنها شعرت بالذنب والعصبية وأضاف بلهجة متوسلة «أيمكننى أن أجعلك تعيدى النظر فى وظيفة الرئيسة؟». «بالتأكيد لا!!، بمجرد أن أتخذ قرارى، أتمسك به. والآن، هل تسمح لى...»

توقفت، منتظرة أن يفسح لها الطريق لكنه ظل مكانه، مغلقا الطريق أمامها، بجسده الهائل، وتزايد غضبها، فوقت راحة الغذاء سيفضيع هباءاً، وقررت رغماً عنها التسلل جواره، وإحتك جسدها النحيل وإنزاح معطفها الأبيض، وشعرت بجسدها كله يرتجف وكأنها لمست كابل كهربائي قوى، وحدثت في عينيه، لتجده في قمة سخريته وإستمتاعه بما حدث.

«مراقبة وقت أيضاً!».

كانت كلماته هامة، لن تسمعها السيدة مورفي؛ لكن ناعومي إلتقطتها، وإشتعل وجهها غضباً وقالت «أهذا ماتفكر فيه؟»

«برهنى لى أننى مخطأ».

رفعت صوتها «مستر رودريك، لن أبرهن لك أى شىء».

وخطت للأمام وزمت شفتيها ورفعت رأسها عالياً، ولم تنتظر لتسمع رده.

ولكنها رغما عنها لم تستطع إبعاد تفكيرها عنه وقالت لنفسها، فعلا الرئيسة مورفي محقه، لوك رودريك ساحر وفائن وموثر!!

وقالت والغضب يعتريها، لوك رودريك فائن وساحر، وماكر مثل الحية الرقطاء!!



الفصل الثالث

المدمن

وهي تسرع الخطى عبر الممر لتلحق بالغذاء كان الغضب يسيطر على أحاسيسها؛ وهى قلقة من تلك العيون التى تلاحقها؛ عيون لوك رودريك، وعيون الرئيسة مورفي. التى إتسعت عيناها خلف عدسات نظارتها السمكية؛ رغباً من كلمات ناعومي الأخيرة، وتضايقها من إغضابها للأخصائي الجديد مرة أخرى. وقالت ناعومي لنفسها، هو أيضاً مسئول عن استفزازي، ويبدو أنه يستمتع بذلك، كما لو كنت كلبة، يداعبها، وإجتاحتها إستياء وأسرعت الخطى، وقالت لو كنت كلباً لعضه على الفور!!

لإستغراقها فى أفكارها، وهى تعبر مدخل البوفيه؛ لم تلاحظ وجود ريتشارد إلا عندما مرت أمامه فقالت له «لوك رودريك يريدك» وفكرت أن تحذره من الخطر المقبل، لكنه رد غاضباً «آه، ماذا فعلت الآن؟» مازالت عيونه كما لاحظت مؤرقة من عدم النوم. البهاة العيون لوك رودريك لم تلاحظ ذلك عندما أبلغته بما حدث وعدم تشخيصه لوجود كسر فى يد المريض؛ وضع يديه حول رأسه وتأوه بصوت عالى، ثم إلتفت

حوله ، وبدأ يستعد للذهاب عبر الممر وهو يقول « سأحاول
التبرير قد يجدى » وهو يهز كتفيه .
قالت ناعومى له « لا تنسى تذكيره بأنك نمت أربع ساعات
فقط » .

« هل تظنين فعلا أن هذا سيجدى ؟ »
« حسنا ، فعليا لا ... لا ضرر من إبلاغه ، ربما يتفهم
موقفك ؛ والأمر يستحق المحاولة » .
« وربما تنطلق حمامة السلام !! » كان صوت ريتشارد يقطر
أسى وكأن مصيره المحتوم هو الإقالة !! .

فى وقت متأخر من ظهيرة نفس اليوم ، وأثناء الراحة بين
الحالات ، إنتقت ناعومى وجلوريا بريتشارد حيث كان يرتشف
فنجان القهوة فى غرفة الإستراحة وبادرهما بقوله « فعليا لم يكن
لوك سيئا كما توقعتم ، لقد قال لى إن الكسر كان باهتا بحيث
يمكن الالتفات له فى الأشعة ، وأمدنى ببعض الملاحظات
الهامة ، رغم قوله أنه لن يتسامح مع خطأ آخر ، ولم أكن فى
حاجة لتذكيره بأننى سهرت طيلة ليلة أمس ؛ فلقد كان على
علم » .

قالت جلوريا بنبرة إنتصار « إذن تأكدت أنه ذى قلب
رحيم » فهى لم تصدق ناعومى عندما أفصحت عن رأيها مؤكدة
أنه قاسى القلب ورجل بلا مشاعر فى تعامله مع طاقم التمريض
والأطباء . ولم تصدق جلوريا أنه رجل رائع المنظر وجميل مثله ،
لا يمكن أن يكون بهذه القسوة والخشونة !! وهذا أمر مألوف ،
دائما تختلف وجهات نظر ناعومى وجلوريا حول الرجال .
ردت عليها ناعومى « إذن طارديه ولا تتركه حتى يسلم
قياده لك » مازالت ناعومى مستاءة من أسلوبه فى عرض وظيفة

الرئيسة عليها ، وإتهامه لها بأنها تتحين مرور ساعات العمل .
قالت جلوريا لها « أتعرفين ماهى مشكلتك ؟ » ورفعت
ناعومى عيونها لترى ماذا ستقول « أنت عنيدة » .
« أنا لست عنيدة ! أنا .. »

كررت جلوريا مؤكدة « عنيدة ؛ فلقد قررت ألا تتسامح
معه منذ لحظة عرضه وظيفة الرئيسة عليك » .
فجأة تسأل ريتشارد بنظرة صارمة إلى ناعومى « نعم ، لماذا
لا تقبلين الوظيفة ؟ ستقوين بها على خير وجه » .
وضعت ناعومى فنجان قهوتها بغضب « آه ، ياراحة السماء ،
أأنت أيضا !! لماذا لا يدعنى الناس لحالى !! » .
رد ريتشارد « آسف » وهو مندهش من لهجتها « مجرد
أنتى .. »

« مجرد أن كل شخص قد قرر أن يتصب نفسه مسؤولا عن
تنظيم حياتى ، حسنا لدى أخبار لكم جميعا .. أفضل أن أدير
أمورى بنفسى !! » وفتحت الباب وغادرت غرفة الإستراحة
بخطوة واحدة لتجد لوك وبصحبة الرئيسة مورفى أمامها ،
وبادرها مورفى « آه ، أنت هنا ، هناك مريض بحالة صعبة
وطالبة التمريض ويلو تواجه متاعب معه ، ويبدو أن الأخباريات
إختفين » .

ردت ناعومى « سأساعد دكتور نيكولاس » وهى تستغرب
لماذا لم تحبى باتى ويللو إليهم فى غرفة الإستراحة وهى تعلم
أنهم يشربن القهوة .
قال لوك بصوته الأجش الذى تبغضه الآن « هاها ؛ أنتى
ألا يزوغ » .

إنطلقت كلماتها قبل أن توقفها « دكتور نيكولاس لا يزوغ

أبدأ». «كما ذكرت من قبل، إهتمامك بالدكتور نيكولاس مثير؛ أرجو ألا يتعدى العمل في قسم الحوادث والحالات الطارئة». رفاقته بنظرة عدائية؛ لكنها رأت نفسها مثل كرة مضرب ترتطم بفيل ضخمة؛ ومضت في طريقها وهي مؤلمة في إيجاد رد ملائم، وألا تستعصى عليها الكلمات في المرة القادمة. وهي تبعد عنه، لترى ماذا جرى للممرضة ويللو وتستدعى الدكتور ريتشارد.

بعد استدعائها لريتشارد عبر تليفون بعيد عن مرأى لوك ومورفي؛ شقت طريقها إلى المبنى الملحق حيث يتشاجر المريض مع ويلك، كما هو واضح من الضجة التي تسمعها. عندما رفعت الستارة؛ وجدت باتي وويلك تتعارك مع شاب نحيف صاحب اللون يرتجف بعنف وبظنرة واحدة أقنعت ناعومي أنه كان يتعاطى المخدرات.

صاحت ناعومي في وجه باتي وويللو «لماذا لم تطلبى النجدة قبل أن تتورطى مع هذا بنفسك؟» وحاولت مساعدتها لترفع هذا المريض الملقى على الأرض شبه فاقد الوعي لكنه مازال عدوانياً.

ردت باتي «لم يكن هناك وقت؛ لقد إندفع أمام باولا في مكتب الإستقبال، ولم يتح لها ملاً إستمارة إعتراف؛ وجاء هنا، وأخبرتني الرئيسة مورفي أن أضعه في المبنى الملحق ثم أطلب المساعدة؛ لكنني لم أستطع تركه وحده لأتصل تليفونياً».

لعنت ناعومي مورفي في سرها، تفعل هذا وهي التي تتحدث دائماً عن الأداء السيء!! كان يجب أن تعرف مدى

صعوبة هذا المريض وبدلاً من المساعدة تركته للطالبة المسكينة لتتعامل معه، بالتأكيد سيحتاجان مساعدة ممرضة أخرى؛ حتى لتلقن الرئيسة درساً من تلك التي تدرسها لهم أثناء التدريب ويبدو أنها نسيها.

قالت ناعومي للمريض بحزم «لو أردت أن نساعدك ياسيدي، يجب أن تعاون نفسك قليلاً ونقف فوق الأريكة». جاءها الرّد لكّة في وجهها، ولحسن حظها لم تؤذيها كثيراً، وتلاها سيل من اللعنات «أنا بحاجة لمهديء، عليك اللعنة، أنا بحاجة لمهديء!».

كرت ناعومي أسنانها وحاولت التظاهر بالشجاعة أمام باتي وويللو المسكينة وقالت لها بصوت خفيض «سنعطيه المهديء، لكن ليس الذي يريده».

إنضم ريتشارد نيكولاس لها وقال «أين سام؟». ردت ناعومي «هاهو، أتريد أن أرسل باتي لتستدعي الدكتور لوك رودريك؟»

«لا، سأعرف منه تاريخ حالته أولاً، ثم عينة دم للتحليل، حتى نعرف ماذا به، ثم اتصل به بعد ذلك».

قالت ناعومي «وهو كذلك» رغم شكها في طريقة معالجته للحالة، لكن المريض بدا أنه هدا من غضبه وثورته قليلاً في حضور ريتشارد، وإنتظرت وهو يملئ عليه بطاقة الإعتراف، فهو ليس مدمن مخدرات؛ وإبتسمت ناعومي إبتسامة غاضبة لريتشارد، وشعرت بالأسى على هذا المريض الشاب؛ الذي يظن أنه كان يراوغ ويكذب عليهم، وقالت أيقظ أن آثار الحقن في ذراعه خفية غير مرئية؟ لم يعلق ريتشارد على إجابات المريض، في مناورة ذكية، وقال بهدوء «سنحتاج

عينة دم لتحليلها، وهل ستوقع على الإستمارة هنا؟»
«بالتأكيد» ووقع المريض على الورقة التي أمسكتها ناعومي له. وبدأ يرتجف بعنف، ورغم ذلك حاول توقيع إسمه.
قال ريتشارد «تمام، سنأخذ عينة الدم الآن».
رفعت ناعومي كم قبض الذراع الأيمن للمريض وهي تقول لباتى «ستمسك بذراعه لتثبيتها عليك أن تقفى عندك».
ردت باتى «لكن...» فهي تعرف جيداً أن دم متعاطى المخدرات يكون ملوثاً بأمراض خطيرة.
«لا تقلقى؛ أنا أكثر خبرة منك، ساكون بعيدة».
بينما تحدث ناعومي، غرس ريتشارد الإبرة فى عروقه وبدأ يسحب عينة الدم؛ وبدأ الشاب يهتز ويرتعش، ويحرك جسده من جانب لآخر، وإنسحبت الإبرة وقبل أن يمنعها ريتشارد إنقرست فى ذراع ناعومي المكشوف.
سيطر صمت فظيع مربع على الثلاثة لم يقطعه سوى إندلاع هيجان المريض.
همس ريتشارد «آه، يا ربى!! ماذا فعلت؟»
ردت ناعومي بهدوء «لم تفعل شيئاً» وحاولت أن تبدو متماسكة رغم أن قلبها يخفق بعنف، وهي تتصفح قائمة الأمراض المعدية التى يمكن أن تصيبها من دم هذا الممنوع، ووصلت لأسوأ الاحتمالات، الإيدز!!
فجأة جاء الدكتور لوك رودريك بقامته الفارعة؛ وإنبفعت باتى قائلة «آه ياسيدى إنسلت إبرة الحقن ووخزت ذراع ناعومي!!» كان صوتها مرتعشاً؛ عيونها على اتساعها رعباً تملأها الدموع.
استدارت رأس لوك بعنف، وجالت عيونه حول المشهد،

كان واضحاً لأى مراقب خبير مثله، أن المريض مدمن مخدرات فلقد كان يرتجف بعنف؛ ويتأوه متألماً.
نظر لوك إلى ناعومي ريتشارد الشاحب ووجه المرعوب وسأل بهدوء «إبرة ملوثة؟»
رد ريتشارد «نعم... إنها».
تدخلت ناعومي «ليس الخطأ مسئولية أحد منا؛ كنا نأخذ عينة الدم من المريض؛ كان ريتشارد يسحب الدم، وتحرك المريض فجأة؛ ليغرس الإبرة فى ذراعى».
رد لوك بصوت حاد «وهو كذلك؛ دعنا نأخذ عينة جديدة ياريتشارد وأرسلها للمعمل وإكتب طلباً لتحليلها لفحص كل شيء.. أفهمت؟ كل شيء!!»
غمغم ريتشارد البائس «نعم».
وقال لوك لناعومي «سأتحدث معك فيما بعد» وأومأ لها هي وباتى وبلك «إنصرفا من هنا، قبل أن تقع حوادث أخرى سأتولى أمر المريض» ثم إلتفت إلى ريتشارد «خذ عينة الدم».
سارت باتى خلف ناعومي صامته، وبمجرد خروجها استندت ناعومي إلى المكتب فى الجانب المواجه للمبنى الملحق، وحاولت التماسك والهدوء، شعرت بحرارة جسدها وارتعاشها وحاولت إبعاد كل الاحتمالات الخفيفة عن عقلها؛ لكن ظلت فكرة ثانية تؤرقها، ماذا لو كان المريض مصاباً بالإيدز، ستتقل لها العدوى، ثم ماذا؟ هل ستموت؟ ماذا سيحدث للصغير توبى؟ لن يجد من يرعاه. لن تعيش العمة فلو للأبد، ولو ماتت لن يرعاه أحد، سيلحق بماوى للأيتام، ورغم تصميمها على الحفاظ بتماسكها، شعرت بدموعها تنهمر وتفرق خلودها!!

ونخوفهم بلا مبرر، كل نتائج التحليل ستظهر غداً». «لا تقلق، ليس لدى نية لإبلاغ أحد، كلها كان عدد الذين يعرفون محدوداً كلها كان أفضل». «رفع حاجبيه» «هناك عادة قديمة لا يمكن كتمان شيء في المستشفى، الجميع يعرفون ما يجري حتى عمال الغلايات!!» «وإتسمت ناعومي فهي تعرف أن هذا صحيح، وقال مستحسناً» «هذا أفضل، على الأقل إنتزعت منك إبتسامة». «إبتسمت ناعومي مرة ثانية» «آسفة، على مبالغتي في إظهار مخاوفي، لكنها كانت صدمة كبيرة». «هراء؛ أنت لم تفرطين في الهلع؛ لقد رأيت رجالاً كباراً يتحطمون في حوادث مشابهة لكنك إحتفظت بثباتك». «تقصد بالنسبة لإمرأة مثلي». «أهلاً، لا، ليس هذا ما...» «وتوقف ونظر إليها ملياً، وفجأة لمس خدها بإبهامه» «تعتقدين أن من الخطأ إعتباري المرأة كمجنس لطيف؟» «ردت بسرعة» «النساء بشر، مثل الرجال تماماً». «مثل الرجال؟ يا رحمة السماء، لا أقولني أنني نسيت شيئاً هاماً مما درسته في فصول التشريح!!» «حسناً... تعرف ما أقصده» «وتمنت لو لم تتحدث أصلاً، ولو رفع إصبعه عن وجهها، لقد بدأ ذهنها يتشوش، رغم أنها إستحسنت نفسها لعجزها عن التركيز». ضحك بنعومة وقال «أعتقد أنني أعرف ما تقصدينه، لكنني ليست واثقة أنني أوافقك على رأيك». فجأة رفع يده عن وجهها ووضعها خلف عنقها، وبدأت تتحرك حوله، ولم تستطع وقف خفقان قلبها، ثم جذبها ناحيته،

وربما تقدم نحوها، فهي ليست واثقة بما حدث. كل ما تعرفه؛ أنه أصبح لصيقاً بها جداً. وإغنى ليقبلها، لقد ذاق طعم القبلات مراراً، لكن ليس بمذاق قبلات لوك التي أذابت عظامها، ربما لأنه متمرس، هذا ما جال بخاطرهما، وهي تريد أن تقاومه، لكن دون جدوى. في النهاية، تراجع بعيداً، وهو ينظر إليها من أعلى قامته المديدة. وأخفضت جفونها؛ فهي لا تجرؤ على النظر إلى تلك العيون الخضراء الداكنة. وبدلاً من ذلك همست بأول كلمة خطرت لها «كان يجب ألا تفعل ذلك؛ ربما تصاب بالإيدز». «حاقات، الإيدز لا ينتقل عن طريق القبلات، حتى لو كان ذلك ممكناً، كان الأمر يستحق المخاطرة» كان صوته مرتعشاً وهو ينحني ليقبلها مرة أخرى. لكنها هذه المرة إنتزعت نفسها وإبتعدت صوب الباب وهي تقول له «شكراً لك على لطف مشاعرك، لقد نجحت في جعلي أستعيد هدوئي وإتزانتي». «آه، أهكذا؟ دائماً أحقق قدراً من النجاح أكبر من ذلك!!». «آه، حسناً، يجب ألا تفوز بكل شيء» لكنها ما زالت متضايقة من يقينه بمدى تأثير قبلاته، يجب ألا تدعه يركن لذلك، بل توضح له أن قبلاته لا أثر لها، وهي تدرك أنها ليست الحقيقة!! «وهكذا يبدو أن قبلاتي جعلتك تتخلصين من هومك الآنية!!» وفجأة إنتابها إحساس بالدونية وإحتقار الذات؛ إذن لقد قبلها مجرد أن تستعيد هدوئها الطبيعي، لتتس، على الأقل فهي

تشعر بحدوث كارثة. ونسوء حظها؛ لقد نجح تكتيكه بالعلاج بالصلصة أكثر مما يعرف هو!!.

بقية فترة الظهيرة، وجدت ناعومي صعوبة في استعادة تركيزها. وفسرت زميلاتها أن ذلك بسبب تلك الصدمة الفظيعة، وإنتظارها نتائج تحليل الدم أمر يشبه الوقوف تحت سيف معلق في الهواء.

همست جلوريا في تعاطف معها «أنا لست مندهشة، لو كنت مكانك لأغمى على» وهي تستعيد مريض ثانى أرسلته ناعومي خطأ لغرفة أشعة إكس بدلاً من تحويله إلى غرفة الجبس.

إبتسمت ناعومي إبتسامة باهتة؛ فهي لا تشعر الآن بالخديعة، والتشوش والضيق، طبعاً يقلقها تحليل الدم؛ لكن أيضاً بسبب تأثير قبلات لوك هي أكثر ما يقلقها. وقالت لنفسها يجب أن أقلق فقط من نتائج التحليل، وليس بشأن لوك رودريك!! دائماً تعاملت مع من هم مثله ومع شاكلته في غاية النعومة والثقة بالنفس. وحاولت تجاهل قبلاته، وهي تقول لنفسها أنه مثل شخصيات روايات السيستر مورفي — ثم إستبعدت تلك الفكرة — لا؛ هذه قسوة!! يجب ألا أصفه هكذا!!

قالت ناعومي لنفسها الشيء الذي يجب أن تتذكرينه يافتاتي، هو أنه يستخدم خبرته السيكلوجية!! هذا كل ما في الأمر؛ وهذا لا يعنى شيئاً أكثر من مغزاه الطبي. فهو لا يريد أن يرى إحدى ممرضاته منارة؛ ولذا إستخدام أقرب وسيلة في متناوله!! وجاءت النتيجة ناجحة.

وتمنت ناعومي ألا يستخدم أى شكل آخر من السيكلوجي، شكلاً لا يمكن نسيان آثاره.



الفصل الرابع

لحظة سعادة

كان مطعم وبار «حافة النهر» مزدحماً بصورة غير مألوفة ليلة الإثنين، حيث تعد مؤسسة محلية حفلة للترفيه عن رجال عمال أمريكيين، وكانت ناعومي تسرع الخطى لتلبية طلباتهم. ويجب عليها تقديم كل المشروبات مصحوبة بقطع من الثلج بما أجهد طاقم المطبخ للإسراع في إعداد المزيد من الثلج.

أمرها مدير البار «إستمعلى الطاقم بينما يحضر ديك المزيد من الثلج»، وظلت ناعومي بمجهد حتى نهاية الوردية؛ وجلست هي وموللى مسئولة التنظيف بالبار تشربان زجاجة النبيذ الفرنسي الأبيض.

إبتسمت ناعومي لنفسها وهي تشاهد النبيذ في الكأس الكريستال الجميل، وهي تتأمل وتقول لنفسها أن العمل الشاق ينسى الهموم. فعملها المسائي في البار أظهر جدواه الكبير خصوصاً اليوم.

قالت موللى بفضول وهي تشاهد تغير ملامح ناعومي المتابعة والبادية على وجهها المعبر «أدفع لك بنساً لأعرف ماذا في ذهنك».

لا أحد في البار يعرف أن ناعومي تعمل ممرضة في الصباح؛ لأنها احتفظت سراً بذلك؛ حتى لا تخطط بين عملها هنا وعملها في المستشفى؛ فهي دائماً تخشى أن يكتشف أحد من قادة عمل التمريض أنها ترتكب أحد الممنوعات - تحديداً السهر؛ ورغم أنها أبلغت موللي أنها تسكن في لونغستون مع توبي والعمة فلو في عطلة نهاية الأسبوع؛ ودائماً تريد موللي سماع آخر أخبار توبي؛ فهي امرأة مريحة في منتصف العمر؛ لم تنجب أطفالاً؛ ولذا تسعد بسماع أخبار توبي؛ ودائماً تنسج له قبعات صوفية وقفازات للشتاء وجوارب. ولم تستطع ناعومي إخبارها أبداً أن توبي يرفض ارتدئها؛ فيما عدا في المناسبات التي قامت هي بتصويره وهو يرتديها، خصيصاً لترى موللي صورة.

فاجتثها ملاحظة موللي، وهزت كتفها وقالت «أفكارى لا تساوى بنساً واحداً يا موللي؛ الشيء الوحيد الذي يشغلني هو وجع أقدامى!!».

«لا يدهشني ذلك؛ يجب أن تلبسي حذاء أكبر».

وضحكت ناعومي «ربما سأفعل ذلك» ووقفت «يجب أن أنصرف الآن».

الآن بعد إنقضاء السهرة سريعاً عاودتها مخاوفها من حادث الظهيرة، ولذا قررت الذهاب لسريرها بسرعة. فهي بحاجة لنوم هادئ قبل مواصلة وظيفتها في المستشفى الثامنة والنصف صباح الغد، والآن الساعة الواحدة والنصف صباحاً؛ وهي تشعر بوطأة إرهاق يوم كئيب!!

لكن ما كانت تتمناه من نوم هادئ، عصي جفونها وأبى أن يطاوعها. فهي دائماً تسقط طريحة فراشها غارقة في نومها بعد

أخذ الحمام، ويغلبها النعاس بمجرد ملامسة رأسها وسادتها. لكن الليلة خاصتها النوم. وبدأت أفكارها حول نتائج تحليل الدم تنهش ذهنها، فضلاً عن خيالات وصور لوك رودريك، وكان ذاكرتها تعرض عليها شريطاً مصوراً لوجهه الداكن وعلامات الضحك تلتف حول جانبي فمه، قبل تقبيله لها، وحاولت أبعاد أفكارها عنه، كل مرة تقمض عيونها، ومع ذلك تتراءى لها صورته؛ وهي تستعيد إحساسها بلمساته وقبلاته النهمة.

وعندما غلبها يأسها من النوم، بحثت في درج تسريحتها عن حبوب منومة كان ريتشارد قد أعطاها لها؛ وتناولت نصف قرص.

كانت النتيجة كارثة؛ عندما رن جرس المنبه في الصباح، لم تستطع النهوض من سريرها وبعد جهد هبت متهاككة كأنها بعثت من مرقدها الأخير، وتأوهت في رعب «آه يا لهذا الجحيم!!» وهي تنظر في المرأة لعيونها المسهدة ووجهها الشاحب وقالت «سيمتقدون أنني أصبت بمرض خطير!!» تلك الفتاة الجذابة فتاة أمس تلاشت واختفت، وحل محلها مخلوقة بائسة، فظيعة المنظر.

وضعت كمادات ثلج حول عيونها وشربت قهوة سادة، لتزيل الهالات السوداء حول عيونها. وبعد ذلك إهتمت بمكياجها كمحاولة لإخفاء شحوبها، وعندما طالعت وجهها في المرأة أزعجها منظرها وكأنها ستؤدي دور مهرج السيرك؛ وأزالت المكياج مرة أخرى. وعندما وصلت لقسم الحوادث والطوارئ في المستشفى كانت شاحبة الوجه تماماً وهي تتمنى لو ظلت في سريرها خمس ساعات أخرى.

بمجرد رؤيتها صاح ريتشارد وجلوريا «تبدين فظيعة المنظر!!».

«إنها غلطتك عموماً» ونظرت إليه وأضافت «لم أستطيع النوم ليلة أمس؛ لذا تناولت نصف قرص من الأقراص المنومة التي أعطيتها لى».

قال مقطباً جبينه «لكنها ليست بهذا التأثير الفظيع، متى تناولتها؟».

الرابعة صباح اليوم، قلت لك لم أستطع النوم حتى تعبت من الأرق».

«لذا كان يجب أن تظلى نائمة حتى الآن؛ أظنك إستيقظت فى الساعة صباحاً كالعتاد».

أومأت ناعومى بالإيجاب، وأدركت مدى غباؤها لتناول النوم فى وقت متأخر، لكنها كانت مضطرة لفعل أى شىء، حتى تهرب من خيالاتها المزعجة خصوصاً من شبح الرجل القادم عبر المرأ أمامهم الآن.

همست ناعومى «الأفضل أن أحضر أول مريض فى هذه الوردية؛ مستعد يا ريتشارد؟»

فهم ريتشارد وجلوريا مغزى كلامها بأن الرئيس الجديد قادم نحوهما؛ وإندفعت جلوريا صوب التحويل الإكلينيكي، حيث ستعمل مع الدكتور سينجوبنا، وشغل ريتشارد نفسه ببعض صور أشعة إكس.

إستهل عمل الصباح فى غرفة الكشف ببعض الجرحى؛ وتدرجياً بدأت تشعر ناعومى بتحسناً؛ بينما يتلاشى تأثير القرص المنوم. وفى العاشرة والنصف تناولت بعض قطع البسكويت الحلو وفنجان قهوة كبير، أعاد لها تركيزها، وشعرت بالعودة

لطبيعتها رغم شحوبها.

قال ريتشارد وهو ينظر لها وهى تناوله مذكرة المريض الجديد الذى سيفحصه «أنا لا أفهم ما حدث، بالأمس كنت بخير ولم تثقل كاهلك بالقلق والخاوف، فإذا جرى؟».

إبتسمت ناعومى «لا؛ لست قلقة» فعلاً كانت صادقة، وبصرف النظر عن بعض أطيايف القلق فهى لا تفكر كثيراً فى احتمالات نتائج تحليل الدم. وهى تعرف سر شحوبها، عملها الليلي فى بار «حافة النهر» بالإضافة، لمضاعفات أرقها وتأثير القرص المنوم، وقالت مازحة «أنت تعرفنى، أبدو فى منتهى الحيوية فى عطلات نهاية الاسبوع فقط!! أما بقية أيام الاسبوع أكون شاحبة ومهمومة والآن، لترى ما يمكنك عمله لهذا المريض الذى لدغته نحلة، ستجد حالته مثيرة!!».

رفع ريتشارد حاجبيه «لدغة نحلة؟ ليست فى حلقه، أليس كذلك؟»

أجابته ناعومى «لا، بل فى الصدر».

وبعد إنصرافها، لحقت بها ناعومى للرد على مكالمة عاجلة؛ وانشغلت فى استقبال حالات الإسعافات والطوارئ التى وصلت المستشفى دون إبلاغ مسبق.

بنظرة واحدة إلى مريض يده مقطوع منها أحد الأصابع، ولكنها موضوعة فى صندوق ثلج، قالت ناعومى «إتركه هنا؛ أظن أن الدكتور رودريك سيرسله إلى مودبرى».

كانت شبه واثقة أن المريض لن يحتاج سوى عملية جراحية صغيرة، وهو بحالة صحية جيدة، ويبدو غير مصدوماً، ولذا سيحول إلى وحدة الجراحة الصغيرة القريبة مودبرى ولذا لم تشأ تضيق المزيد من الوقت.

«لوك لدينا مريض بحاجة لجراحة صغيرة، حسب اعتقادي» على الفور أدركت أنها نادته بإسمه مجرداً دونما خجل، ودونما تفكير. وعلى الفور لحق بها إلى غرفة الإسعاف، وبعد فحص سريع وسؤال المريض ورجال الإسعاف، اتخذ الدكتور لوك قراره، وقال لرجل الإسعاف «حسناً ما فعلتم، سرعة بديتكم أنقذت هذا المريض وأتاحت له فرصة إنقاذ إصابته، ومن حسن حظي سيعود أفضل مما كان. خذوه فوراً إلى مودبرى. سأصل بهم تليفونيا وأمدهم بالتفاصيل كاملة حتى يتم إجراء الجراحة فوراً» وهو يتحدث أخذ عينة دم «وسنعطهم أيضاً فصيلة دمك» وابتسم مشجعاً للمريض «رغم شكى أنك لن تحتاج نقل دم، فلم تنزف كثيراً».

رد المريض «شكراً يا ريس» كان المريض في منتصف العمر، ويعمل جزائراً وأضاف «كنت أعتقد أنني فقدت إصبعي مثل أبي، فهذه أحد مخاطر المهنة، كما تعرف لأن سلخ الخنزير وتشريح لحمه مسألة محيرة».

أوما الدكتور لوك إلى المريض بهدوء، وهذا ما تعرف ناعومي أنه يبدو في تلك المواقف كمنقذ للحياة، وناولها عينة الدم وهو يقول لها «أبلغهم في العمل الإتصال بنا تليفونيا لنعرف الفصيلة، ثم إتصلي فوراً بمودبرى وأخبرهم بها» وأعطاهما التشخيص الذي كتبه بسرعة «هذا يكفي ليجهزوا له الجراحة».

وهو يتسم لها لمعت عيناه، وأمسك بيدها، وتباعدت هي. وهي تقول ملعون هذا الرجل، لماذا يستحوذ على أحاسيسها بتلك السهولة!! والأصعب أن تكون هي الطرف الضعيف؛ والتأثير من جانب واحد فقط. فهي ترى تركيزه منصبا فقط

على عمله، وبمجرد إلتفاته يبدو أنه ينساها تماماً، كما هو الآن، عندما إلتفت إلى المريض موجهاً له آخر النصائح قبل إنصرافه.

نفذت ناعومي تعليماته حرفياً، وأنجزت كل مهامها، وحن موعد راحة الغذاء. واتخذت طريقها إلى البوفية لمقابلة جلوريا، ووجدتها كالعادة سبقتها في المحىء، وسعدت بمجزها مقعداً لها معها على مائدة في وسط البوفيه المزدهم. كانت الساعة الواحدة والنصف ظهراً، حيث يتناول معظم العاملين والطلاب غذائهم ويكاد يوجد مقعد خالي.

صاحت جلوريا وفها ملءء بالطعام الجاف «هاى» فهي فى ريجيم دائم، وتعمد ناعومي على تناولها شرائح اللحم والشيس يومياً دونما زيادة فى الوزن.

جلست ناعومي بجوارها وتلقائياً خلعت حذاءها «هاى؛ وشكراً على حجزك مقعداً لى، كيف الحال عندك؟».

«ليس بمثل ما لديك من إثارة، رغم أنني قابلت رجلاً جليلاً هذا الصباح؛ أحد المرضى إسمه جوردون وهو محامى، وإتفقنا على لقاء» توقفت لحظة وهي تنظر ملياً إلى ناعومي «وتعرفت على صديقه، وإقترح جوردون خروجنا معاً لو وجدت صديقة لى، لذا إقترحتك».

قالت ناعومي مندهشة «أنا؟»

«آه، تعالى معى لنستمع كنوع من التغيير».

لوت ناعومي وجهها، حتى لو كان لديها وقت فهي لا تستطيع المواعيد العابرة، وقالت متملة «ليس لدى وقت، وعموماً؛ لقد إنتهى عهد المواعيد العابرة؛ فهي تلائم المراهقات، لكننى شاكرة لك على أية حال».

احتجت جلوريا «إنظري؛ قلت لك لقد تعرفت على صديق
جوردون، وهو شاب لطيف وملائم لك تماماً». «لو كنت
تحاولين لعب دور الخاطبة؛ إنسى». «يجب أن تخرجي أحياناً، أنا لا أفهمك يا ناعومي، حقاً،
لا أفهمك. يجب أن تلتفتي للرجال». «الرجال يصيبونني بالبرود؛ أمامي أشياء أخرى أهم لأفكر
فيها».

إتسعت عيون جلوريا «آه؟ مثل ماذا؟» «وقف
لوك بجوارها ويديه صينية «هل هذا المقعد
مشغول؟» كان المقعد المجاور لناعومي خالياً، وبمنظرة سريعة أدركت
أنه الوحيد الخالي في البوفيه.

ردت ناعومي «لا؛ بل خالي» وهي قلقة إن كان يستمع
لحوارها، فعبارة كالتى قالتها مثل «الرجال يسببون لى البرود»
لا تتسق مع إستجابتها أمس لقبلاته الحارة. رأت ناعومي أن جلوريا فرحت بإنضمام لوك لها،
وتشككت في رغبتها لاستخراج كثير من المعلومات عن حياته
الخاصة، في أقصر وقت، للثروة الاجتماعية وأحاديث القيمة.
وتأكدت ناعومي من صدق شكوكها عند أول ملاحظة قالتها
جلوريا.

سألته جلوريا ببراعة «هل عثرت على منزل؟ معظم
الأخصائين يعيشون في الحى الغربى للمدينة، بجوار الغابة
المدارس هناك أفضل». «تسمت ناعومي، لمحاولة جلوريا استكشاف إن كان لوك
متزوجاً ولديه أسرة أم لا.

رد لوك بمرح «هذه ليست مشكلة، أنا لست متزوجاً،
وأبحث عن منزل يطل على البحر فالتجديف هو متعة حياتي». «
ردت جلوريا «آه سيعجبك حيث تقيم ناعومي، أنا لم
أذهب أبداً هناك، لكن الجميع يقولون...» توقفت عندما
لكزتها ناعومي في كعب قدمها وأضافت «الجميع يقولون أن
المكان جميل جداً» وهي تنظر إلى ناعومي بشرود.
رد لوك «آه؟ أين المكان؟»

ردت ناعومي بسرعة «في الجانب الشرقى من المدينة،
وهذا لا يلائم التجديف» وكان ذلك كذباً صريحاً؛ فالمكان
يلائم التجديف؛ بل من أفضل الأماكن، وأضافت «لكننى
أظن أن عدداً من البيوت الجديدة الجميلة شيدت على الشاطئ
في بورغو» ذكرت بورغو لبعدها عن لونجستون حيث
تسكن هي؛ ومع ذلك فهي صادقة فالمنطقة رائعة حقاً هناك.

رد لوك «يجب أن أشاهدها؛ لو لم تكونى مرتبطة بمواعيد
يمكنك أن تذهبي معى في عطلة نهاية الأسبوع لأشاهدها». «
ردت ناعومي بسرعة خاطفة «أنا أسفة جداً، لكننى
مشغولة جداً» فلقد أدهشتها وأزعجتها دعوته الغير متوقعة. وفور
إنتهائها من غداها وقفت وقالت «من فضلك، عفواً سأذهب،
هل تأتين معى يا جلوريا؟».

قالت لها جلوريا بعد أن لحقت بها «لماذا ترفضين دعوته؟
لوك برودريك يدعوك للخروج معه، ألا تفهمين ذلك؟ يالك
من فتاة محظوظة!!». «أجابتها ناعومي وتتمنى لو كانت الأمور عكس ذلك
ووافقت على دعوته «آخر شيء أريده هو قضاء وقت راحتى
مع السيد رودريك». رغم ذلك فهي تعرف أنها منجذبة له

بشكل لا يقاوم — ولا جدوى من الكذب على نفسها. فلقد لمس عصباً مكشوقاً في عواطفها؛ لكن عقلها يخبرها أنها ليست سوى امرأة أخرى جذابة في عيونه؛ وسيفقد إهتمامه بها سريعاً بمجرد ادراكه لأعبائها العائلية. فلقد أوضح صراحة في رده على جلوريا أن الزواج ليس على قائمة إهتماماته، وهذا يعني أنه لا يحب الأطفال.

ردت جلوريا بنبرة مذهولة «حسناً، فعلاً!! القلب وما يعشق!! لو كان قد دعاني لكنت طرت فرحاً».

استغربت لضحكتها وسألته جلوريا «ماذا عن جوردون؟ أظنك قلت أنه رائع».

«حسناً، نعم، لكنني أفضل أن أمسك الخيطين بيدي!!».

«ياللك من فتاة فاسدة!!».

أحضرت كل منها فنجان قهوتها وإتجهتا إلى الإستراحة ولم يكن هناك مقعد خالي، واضطرتا للوقوف في الركن.

قالت لها جلوريا «أننى لا أفهم سبب عدم إهتمامك برجل مثل لوك رودريك» وهزت رأسها علامة عدم تصديق لهذه الظاهرة.

تهتت ناعومي؛ فن الصعب شرح وتفسير ذلك؛ خصوصاً لجلوريا تلك الفتاة التي لا تكتم سرّاً ولا تستريح إلا إذا أخبرت الجميع بكل ما لديها، بينما ناعومي تحتفظ بسر توبى وعملها الليلي في البار. ولو لم تكن تقاليد مهنة التمريض تمنع المريض من ممارسة مهنة أخرى، ما كانت إحتفظت بذلك سرّاً. لكنها مكتوفة اليدين، فهي في ميسس الحاجة للمال، والعمل الإضافي هو وسيلتها الوحيدة.

إنتهت من القهوة، وعادت إلى عملها وإنقضى وقت ما بعد الظهيرة بسرعة البرق، وقالت جلوريا «مضى الوقت بسرعة، الشيء المثير الوحيد الذي واجهته هو مدرب قيادة سيارات قدمه كانت تؤله؛ وطلب مقابلتى مرة أخرى».

داعبتها ناعومي «رجلان يسعيان خلفك في يوم واحد!! ربما يتيح لك الأخير بعد دروس تعلم قيادة السيارات مجاًناً».

ردت جلوريا «نفس فكرتى».

عندما وصل مظروف من معمل التحليل لم تشأ ناعومي فتحه وأرسلت باتى ويللو به إلى لوك رودريك؛ ولكن بعد لحظة عندما إستدعيت للذهاب إلى مكتبه فجأة زال تحفظها.

وقالت بالتاكيد المظروف به نتائج التحليل لدم المريض مدمن المخدرات، وإتباتها المخاوف من جديد. وجف حلقها وتسارعت دقات قلبها وهي تطرق باب مكتبه وقالت لنفسها «حسناً؟»

ومسحت شفتيها بطرف لسانها.

بادرها لوك قائلاً «لن تكونى شهيدة مهنة الطب، وتنضمي لقائمة الأسماء الشهيرة من النساء».

«ماذا تقصد بالضبط؟» كانت تريد سماع إجابته صراحة.

«هذه» ووقف وسلمها نتيجة التحليل.

تناولتها ناعومي وبدأت قراءتها؛ في البداية غامت عيناها ولم تقرأ شيئاً، وفي النهاية إتضححت أمامها كلمتان «سلبى، سلبى».

تنفست بهدوء وارتياح «إذن كل شيء على ما يرام!!»

ولم تستطع تصديق نفسها. وبدأت ترتعش، وغلبتها دموعها، دموع الارتياح. فلقد تلاشت كل مخاوفها.

صاح لوك « النساء !! لماذا لا ييكن عندما يستلزم الأمر ذلك ؟ ولماذا دائما ، ييكن عند سماع أخبار سعيدة ؟ » وطوقها بذراعيه ، وإستندت على صدره .
وهي تنتحب « لا أدري » وفجأة شعرت بالسعادة تجتاحها ومشاعرها الأنثوية تسيطر عليها وهي مستندة عليه ، كانت متجذبة إليه مغناطيسياً ، وهي تهمس « ياه ، كم هو مريح وسعيد معرفة هذه الأخبار السعيدة » .
وهي تنتحب من السعادة قال لها « نحن متجهان معاً لنفس النهاية !! » .



الفصل الخامس

المنقذ

لو لم تختار السيستر مورفي هذه اللحظة بالذات للتسلل إلى المكتب ؛ وتبدى ذهوها للمشهد المائل أمام عيونها ؛ وناعومي تتلقى قبلات لوك مراراً — بمجرد أن يطوقها بأحضانه تتمنى أن تذوق طعم قبلاته ، كل ذرة داخلها تمناء .

كل أفكار ليلتها الماضية ؛ تلاشت وحتى كلماتها منذ قليل إلى جلوريا — الرجال يسببن لى البرود . بل العكس ؛ مشاعرها الآن تجاه لوك !! .

لقد تسللت الرئيسة مورفي بطريقة مشابهة لدجاجة تضع بيضها ، وأغلقت الباب خلفها ، وأفاقت ناعومي من أحلامها وارتنطمت بأرض الواقع ، وغغمغت « آسفة » وهي تمسح عيونها ، « لا أدري ماذا جرى لى ؟ » .

رد لوك بحويوة « كل شيء على ما يرام ، وهذا متوقع فى مثل هذه الظروف » وغطت شفثيه إبتسامة ناصعة ، وناول ناعومي متدبيله القطنى ليمسح عيونها وأنفها ؛ وراقبته وهو يلتفت ليحدث الرئيسة مورفي ؛ وفجأة إنتابها إحساس بحرق وتساءلت إن كان يعرف فيما كانت تفكر وهي بين أحضانه ؛ وأنه لو فتح

ذراعيه لها مرة أخرى ستلقى بنفسها دون تردد!!
عندما لمحت عيون مورفي المفتوحة على إتساعها في دهشة
وذبول قالت لها «لقد جاءت نتائج تحليل الدم».
إرتسمت ملامح مأساوية على وجه الرئيسة مورفي «ياه؛
ياربى، أنا فى غاية الأسف».
كانت ناعومى على وشك أن تقهقه، لكنها كتمت
ضحكاتها، عندما أدركت أن مورفي فهمت أن التحليل إيجابى
وقالت لها: «كل شيء على مايرام ياسيستر، النتائج
سلبية».

«إذن؟ لماذا...؟»
ردت ناعومى بإبتسامة شاحبة «لا أدرى، مجرد حماقة؛
أليس كذلك، لقد قهرتني دموع الإرتياح؛ أخشى أننى فضحت
نفسى».
«كل ما تحتاجينه فنجان شامى».
واعتدلت السيستر مورفي بزها الرسمى الأزرق الغامق
ومدت ذراعها الملفوف فوق كتف ناعومى، وفى نفس الوقت
إنجحت ناعومى صوب الباب وهى تقول «سننصرف ونترك لك
المسكين فى سلام».
بعد استعادتها لإتزانها قالت ناعومى له «آسفة، لن يحدث
هذا مرة أخرى».
جاء رده هادئاً «لا تقلقى؛ مرحباً بك وقتما تشائين!!» لم
تصل كلماته لمسامع السيستر مورفي التى إنشغلت بمناداة الطالبة
باتى ويللو وأمرتها بأن تلبس غطاء الرأس القمعى الأبيض.
كانت ناعومى فى قمة سعادتها لعدم إستماع السيستر مورفي
لملاحظته الأخيرة، وعدم إبتهاها لغمز لك لها وهى تغادر

مكتبه. وقالت لنفسها يجب أن أحاذر؛ هذا الرجل يظننى
وقعت فى قبضته. وفجأة شعرت بحمرة الخجل تعترها عندما
خطرت لها الفكرة، ما أجل أن تصبح مثل قطعة الصلصال
اللينه يشكلها كيفما يريد!!
بقية الأسبوع ظلت ناعومى حريصة فى إبتعادها بقدر كافى
لتأمين نفسها من إنفراد لك برودرىك بها. بينما كانت
المرضات يثرثن عن نجم التليفزيون الطبيب مستشار قسم
الطوارئ الجديد، السندباد الجراح، الذى أصبح أشهر أطباء
المستشفى. وقالت لنفسها لا حاجة لأصبح أحد أفراد معسكر
معجبيه.
لحسن حظها تغير جدول ودياتها؛ وحلت محلها جلوريا
للعمل مع لك برودرىك بينما تولت هى مهمة جناح المصابين فى
حوادث. وشرحت السيستر مورفي لها هذا التغير بسبب تغيب
ريتشارد نيكولاس فى مهمة دراسية ولذا وجدت أنها الأفضل
والأكفأ لمساعدة الطبيب الجديد، لكن ناعومى تشكلت أن
التغير مجرد تلبية لرغبة مورفي فى إبعادها عن لك!! سواء كان
بغرض حمايتها أم عدم رضاؤها لإعجاب أى من ممرضاتها بكبار
الأطباء والجراحين، هذا مالا تدركه ناعومى. وأياما كان
السبب فهذا التغير أسعدها كثيراً.
جاء يوم الجمعة وبدأت ناعومى تنقرب عطلة نهاية الأسبوع.
بعد ساعات قلائل وتعود إلى المنزل مرة أخرى، وتلتقى محبوبها
الصغير توبى وعمتها فلو. ونظرت إلى ساعتها وتهدت يبدو أن
الوقت يتحرك ببطء شديد فى ظهيرة الجمعة.
فى منتصف الظهيرة وصلت تيمى جالبريث بصحبة الأم
وفى البطاقة التى كتبها باولا موظفة الإستقبال «آلام فى

القدم». رفعت ناعومي حاجبها لهذه الملاحظة الغربية وذهبت إلى المبنى الملحق لأخذ مزيد من التفاصيل قبل استدعاء الدكتور روجرز مسئول القسم.

والدة تيمى محاضرة جامعية وأستاذ سيكولوجى؛ وهى مطلقة، وتيمى أحد طفلها، يعيش معها، الآخر يعيش مع زوجها السابق. بينما تبدو الأم رائعة الحيوية والجمال يبدو تيمى شاحباً ذابلاً، وهكذا فهمت ناعومي أنه غير نظيف وغير محبوب من الأم التى تعتبره عقبة فى طريقها المهنى.

سألها وهى تنظر إلى قدم تيمى المتسخة «منذ متى وهو يشكو من آلام قدمه؟» كانت القدم مغطاة بدمامل كثيرة. أجابتها أمه الدكتورة جالبريث «كيف أعرف؟ لقد لاحظتها فقط عندما أخذته اليوم لأشتري له حذاء جديد، فهو لم يشتكى أبداً من أوجاعها، وليس لدى وقت فراغ لأضيقه».

فكرت ناعومي بأسى، هذه هى المسألة وتعاطفت مع تيمى فهو من نفس عمر توبى ابن أختها الراحلة، لكن بينما توبى واثق من نفسه ويمتلئ بالحياة والمرح، يبدو تيمى قلقاً، عيونه الواسعة مليئة بالدموع خلف نظارته الطبية السميقة.

قالت له بنعومة «لا تقلق، مجرد بثور فى قدميك، نوع من الأورام السطحية، وبسرعة سنعالجها، ولن تؤلك قدمك بعد ذلك».

رد الطفل بصوت حزين «لم أدخل المستشفى أبداً». ابتسمت ناعومي «ليس هناك مبرر للإنزعاج سأحضر الطبيب ليراك ويقرر العلاج».

صاحت الأم الدكتورة جالبريث «بسرعة أيضاً، أنا مرتبطة بعشاء فى لندن، ويجب أن أوصل تيمى أولاً إلى السيدة أوليفر

لترعاه».

قالت ناعومي فى سرها يالها من أم أنانية لا تهتم سوى بنفسها، وأخذت طريقها لاستدعاء الطبيب، وهى مستاءة من تلك الأم المثقفة التى لا تعتنى بطفلها وتركت قدمه حتى وصلت لتلك الحالة الفظيعة، دخلت الإستراحة ولم تجد أثراً للدكتور روجرز وبدلاً منه وجدت لوك وحده ورفع عينيه إليها متسائلاً:

«أهناك مشاكل؟».

«حالة فى الإسعاف، وكنت أبحث عن الدكتور باتريك روجرز».

وقف وهو يقول لها «لقد أرسلته لإحضار صور الأشعة، سأجىء معك ما تلك الحالة؟».

«بثور جلدية».

«بثور جلدية!!» وتوقف ووضع يده على ذراعها «نحن نقوم بالإسعافات، وليس فحصاً طبياً للقدم!!».

أجابت ناعومي «إنتظر حتى ترى بنفسك، والطفل البائس المصاب». وأبعدت ذراعها عن يده وبدأت تعود مسرعة ناحية المبنى الملحق.

رماها بنظراته ولحق بها، وبمجرد دخوله الغرفة، كانت السعادة تملأ روح ناعومي لوجود لوك لسبب وحيد، أنه يجد طريقه الساحر فى نفوس الأطفال ولأنه كبح جماح الأم الدكتورة جالبريث. وأوضح لها بما لا يقبل الشك مدى إستهتارها فى رعاية ابنها. وأجرى اتصالاً تليفونياً لحجز الطفل تيمى فى قسم الأطفال لعنة أيام.

قالت الأم بلهجة إستكثار وعدم تصديق «لكنها مجرد بثور؛

هذا ما قالته ممرضتكم» .

رد لوك «نوع من البثور؛ علاجها سهل لو كانت في حالة عادية، لكن بهذه الحالة الرديئة والمؤلة جداً؛ وسأكون فاشلاً وخائلاً لو اجبى المهني كطبيب لو تركته يمشى على قدميه قبل علاجه . وسيتم حجزه في قسم الأطفال فهناك سرير خالي، وسيجد الرعاية الكافية والعلاج المطلوب» .

ذهب تومى مع ليندا ممرضة قسم الأطفال وهو يطير فرحاً وسعادة، ولم يلتفت إلى أمه، التي أسرعت لإحضار ملابس نوم وفرشة أسنان وباقي حاجياته .

قال لوك وهو ينظر إلى الطفل بجوار ليندا «سيستمتع باهتمامها لعدة أيام، وهذا أفضل من لا شيء» .

ردت ناعومى بركة «نعم، تيمى البائس المحروم من حنانها» .

قال لوك بغضب ومرارة «حالة نمطية العائلة مفككة؛ دائماً هكذا نفس الشيء، لارعاية، لا وقت كافى، وفقدان للحنان» .

صاحت ناعومى «ليس صحيحاً!! ليس الأمر دائماً هكذا»

كان في ذهنها صورة توبى؛ الذى يعتبر بشكل ما بلا أب، ومع ذلك يتمتع بفيض حنان وحب وأضافت «بعض العائلات بلا آباء ومع ذلك تتمتع بنجاح مبهر» .

قال مستكراً «لم أرى أحدها بعد؛ فإنتهاء الزواج بالإنفصال والطلاق يعنى غياب وإفتراد الرعاية والحنان كواجب» .

ردت ناعومى «لا أدري شيئاً عن الزواج، لكننى واثقة من خطأ رأيك في مسألة عدم وجود أب، فوجود أم، أو حتى

عمة، لا يهم، المسألة قضية حب وحنان»

«ما الذى يجعلك متحمسة هكذا؟ كما لو كنت ملزمة وخبيرة بالموضوع» .

شعرت بالخجل وحاولت التلصص من نقاشه الموجه «باعتبارى غير متزوجة مثلك كأعزب أفترض نفس المعرفة والإلمام» .

«ربما رأيت أطفال مشردين أكثر منك...»

«آه، نعم، لاشك في ذلك طالما تجولت حول العالم ممثلاً دور السندباد البحرى!!» .

«لا حاجة لمثل هذا الإسلوب!!»

«من حتى إستخدام الإسلوب الذى أراه ملائماً» كان ردّها العصبى بسبب خجلها المفاجئ وشعورها بالخطأ؛ لقد أزعجتها فكرة الطفل المجهول الأب، وأرقها إحساسها بالذنب لعدم بحثها عن والد توبى، وعندما نظرت إلى الساعة التى تتدلى من جيبها؛ تزايد شعورها بالذنب؛ فهذه الساعة آخر ما أعطته لها أختها تيفانى قبل وفاتها .

قالت بحدة «الساعة الآن الرابعة والنصف وإنتهت وريدتى» ودون كلمة أخرى أسرعت ناحية غرفة الممرضات، ظل لوك واقفاً مكانه، ويده تحت ذقنه وهو يراقبها تختفى عبر

الممرز .

طيلة طريقها فى العودة إلى منزلها فى لنجستون ظلت صورة توبى وكلمات لوك عن فقدان الأب تطارد مخيلتها، ولم يفلح مشهد السماء الساطعة الملونة بالوردى والبرتقالى والمنعكسة على صفحة مياه البحر اللامعة الكريستالية لم تفلح فى رفع مغنوياتها أو التخفيف من قلقها .

عندما جاء توبى مسرعاً فوق المشى المترب للترحيب بها تلاشت كل مخاوفها وهمومها. ربما يكون توبى يتيماً، لكنه لن يلقى حياً وحناناً أكثر من الذى تحوطه به؛ ونظرة واحدة إليه تؤكد ذلك.

وتذكرت الدور الذى تلعبه العمة فلو فى رعايته. ربما كانت أحواله ستكون أفضل لو كان هناك أب يساعد فى رعايته. ومع ذلك، هذا لا يغير حقيقة أن الدكتور جاليريث المرأة التى تعشق عملها وتتخلى عن رعاية ابنها؛ بينما هى تحب توبى بجنون. لو أدارت الحياة وجهها، لكانت كرست حياتها لحب أطفالها هى، لكنها ذات دور مختلف فى الحياة؛ فهى تلعب دور الأم والحالة معاً.

وهى تحتضن توبى تساءلت ناعومى مرة أخرى إن كانت فعلت الشيء الصحيح طيلة الأعوام الماضية بعدم بحثها عن والد توبى الذى تعتقد أنه ديرك رودريجوس، لكنها أبعدت أفكارها. لقد فات الأوان الآن، من المحتمل أنه قد تناسى تيفانى، أو أنه قد قابلها أصلاً. وابتسمت فى أسى. الآن أصبح مليونير، ومشهور جداً، وهى تستطيع تخيل رد فعله عندما تحاول بعث أشلاء الماضى، وتحميله مسؤولية طفل صغير. وبدأ ذهنها يدور فى حلقات مفرغة، ولم تنته إلى أى يقين؛ وظلت حائرة.

كانت مثلهفة على مصارحة العمة فلو بمخاوفها فى تلك الليلة، وهما يجلسان فى الحديقة. كان توبى قد نام فى غرفته؛ فى الطابق الثانى، كانت ناعومى على وشك التحدث لكنها تراجعت عندما تذكرت كلمات العمة فلو «لاتنكأى جراحاً قديمة!!». وعلقتها فالتفتت لها قائلة: «صباحاً أريد أن أرى ذكركها العمة فلو بوعدها بالخروج مع توبى وبوب وجانيت

للبحر. تأوهت ناعومى، لقد نسيت، فالتجديف آخر شيء تفضله، دائماً تشعر بدوار البحر، حتى فى الأيام الهادئة. وفى الصباح عندما تغير الطقس تخلت عن فكرة الذهاب إلى البحر لإحتمال هبوب عواصف.

بينما كان لبوب وجانيت رأياً آخر. فهما متحمسان للبحر، وهما يعيشان فى كوخ صياد فى ميناء لونجستون. وجدار البحر يشكل جزءاً من سور الحديقة؛ ولديهم قارب صيد، أمام الكوخ.

قالت جانيت بحماس «مسألة أن الجو عاصف مجرد هراء!!».

صاح توبى «نعم!!» كان يمرح فى حذاء البحر الأصفر، والجاكت البرتقالى اللامع كأحد أطفال الرسوم المتحركة وقال «أنظري إلى الخيول البيضاء ياناعومى!!».

كان اليوم أول أيام الآحاد فى شهر أغسطس ولقد خططا للذهاب إلى جزيرة وايت حيث يشاهدان سباق الحيتان ومشاهدة إحتفالات ميناء الحيتان من أركان الدنيا الأربعة، حيث تحيط القوارب بالميناء من جميع الجوانب.

كانت الرياح ضدهم، مما يعنى صعوبة الإبحار. وكالعادة تحيرت ناعومى عن سر قرب الجزيرة عند رؤيتها من الشاطئ وبعددها وهم فى البحر.

كانت تخشى تقلبات مسار القارب مما يلقى بها من جانب إلى آخر، لذا تجلس عند الدفة بينما يمرق القارب عبر الرياح.

كان توبى يحب مغامرة البحر، ولا يدرك أخطاره، ومع ذلك ورغم كرهها للبحر أسعدها وجودها بالقرب من توبى بدلاً من

تركه مع جانيت وبوب، كانت الرياح ثلجية مبكرة قبل
أوانها، وتزايدت قوتها؛ قالت جانيت بصوت واهن: «الأفضل
ربط أحزام الأمان». «... كيف؟»
أوامات لها ناعومي ومدت يدها لتطال الحبل بأصابعها،
وتستعد للفها حول جاكيت توبي، عندما وقع شيئاً غير متوقع
عندما استدأربوب بالقارب وضاع صوته في الهواء وهو يحذرهم.
تحركت ناعومي وتوبي أتوماتيكياً، كان توبي أسرع منها،
واختفى فوق جانب القارب، صرخت ناعومي، وبدون تفكير
ألقت بنفسها في المياه الرمادية الداكنة، وعيونها مركزة على
جاكيت توبي ذي اللون البرتقالي اللامع وهي تطفو متباعدة،
ومستمرة في التباعد وسط الأمواج العنيفة.
«لم تعد تدري ماذا حدث. كان الأمر صراعاً من أجل
الحياة، وكل شيء حدث فجأة، فها بمياه البحر المالحة،
والأمواج العاتية تطلوحتها، وجاكيت توبي تتباعد بسرعة،
وشعرت وكأن نهايتها حان أوانها، عندما ملأ أسمعها صوت
حاد؛ وظهر شخص هائل يحمل توبي بجواره على دفة قارب
بمحرك كبير. كان توبي يكبح ويعطس، لكنه لا يدرى حجم
الكارثة؛ فقط يغمغم بكلمات عن هذا القارب الكبير الذي لم
يرى مثيلاً له.
احتضنت توبي بصيحة إرتياح، كان مستغرقاً ومستمتعا
بالحديث مع الرجلين اللذين أنقذه، فهو لا يدرك مغزى الخطر
الذي وقع فيه...
سمعت صوتاً مألوفاً لها يقول: «هذا شيء سخيف وأحمق،
يكفى هذا الطفل المدلل؛ لكن ارتكاب حماقة الإنتحار سخافة
لا تطاق!!».

ما زالت مياه البحر تملأ فها، ورفعت رأسها لتحقق في
عيون هذا الرجل الذي سرق أحلامها طيلة إسبوع، كانت
عيونه داكنة غامضة مثل مياه المحيط حولهم.
قالت له «كيف...؟»
رد لوك «بالضبط! ما الذي أجعلك تفعل هذا؟»
«ألقت بنفسى خلف توبي!!»
«أفهم ذلك؛ مجرد منطق أنثوى بائس سمعته كثيراً، ماذا
كنت تريد أن تستطعين، ارتكاب حماقتين؟»
كزت ناعومي أسنانها وأطبقت قبضتها، كل ما حدث يبدو
مثل كابوس فظيع، ثم ينقذها لوك رودريك شيء لا يمكن
تصديقه. ربما هذا مجرد كابوس، وبعد لحظة تستيقظ لتجد أن
شيئاً لم يحدث. لكنها تشعر بيده القوية تهزها بعنف مؤكدة لها
أنها يقظة. وأن ما حدث جرى فعلاً، والآن ما هو لوك رودريك
يؤتيها على غباثها.
قال لها بحدة «أنت مصدومة، لكن الطفل لا يشعر بشيء»
وأشار ناحية توبي، الذي يقف الآن بجوار الرجل الآخر وهو
يلوح ناحية بوب وجانيت.
ردت ناعومي «هل ستوصلنا إلى الجزيرة؟» وهي تمسح
المياه المالحة عن وجهها وعيونها.
«وهل أمامي خيار؟»
غمغمت «حسناً؛ يمكنك أن تلقى بنا إلى البحر ثانية».
قطب جبينه «إن لم تنتهي لنفسك سأفعل ذلك، أنت
و...» ونظر ناحية توبي.
قالت ناعومي «إبنى أختي، توبي»
«يا لك من خالة حنونة جداً، اعترف لك بذلك».

لم تكن تنصت لكلامه، كانت تنقل ناظرها بين توبى ولوك، وهكذا لقد أذهلها ما حدث، وأذهلها الشبه الكبير بينهما، ولولا فارق العمر، لكان توبى شقيق لوك، نفس الشعر المجعد، الملامح، العيون الخضراء الداكنة. سفيحة « طاشانة قال لوك وهو يلوح مدى ارتعاش جسدها «بمجرد وصولنا للشاطئ يجب تغيير ملابسك المبتلة!!».



الفصل السادس

سوء تفاهم

جانيت وبوب من أقرب وأوثق الأصدقاء لناعومي؛ لكان لها عادة مجنونة في الإهتمام بكل شيء وتنظيمه. وبالنسبة لناعومي؛ ستكون في قمة سعادتها وتشكرهم شكراً جزيلاً لو تركوها ترتب بقية اليوم بنفسها وتقضيه كيفما شاءت، لكن جانيت وبوب ولوك وصديقه البحار الذي إسمه مات، تصادفت أفكارهم مع رغبتها. ولهم نالهم وبألماء فعلاً معاً بالبحار مات البحار صديق لوك يسكن في الطاحونة القديمة في مالتس ورث، القرية المواجهة لشاطئ لونغستون، ولم تضع جانيت وقتاً في إنتهاز الفرصة فهي شغوفة بالتاريخ المحلي لأرجاء المنطقة، ودائماً كانت تفصح عن شوقها لدخول الطاحونة، وها هي تقابل رجلاً يسكن هناك، وإعتبرتها فرصتها الذهبية التي يجب ألا تضيع. وهكذا تحولت الحفلة قبل أن تجد ناعومي فرصة للإعتذار، وهكذا تحولت الحفلة كلها ناحية طاحونة مات وأصدقائه؛ فضلاً عن المصادفة التي كشفت عن تعارف مات بجانيت وبوب من قبل كبهار؛ وبعد قليل من الإيضاحات وصيحات الترحيب، جلس الجميع لتناول

أفكارهم مع رغبتها. ولهم نالهم وبألماء فعلاً معاً بالبحار مات البحار صديق لوك يسكن في الطاحونة القديمة في مالتس ورث، القرية المواجهة لشاطئ لونغستون، ولم تضع جانيت وقتاً في إنتهاز الفرصة فهي شغوفة بالتاريخ المحلي لأرجاء المنطقة، ودائماً كانت تفصح عن شوقها لدخول الطاحونة، وها هي تقابل رجلاً يسكن هناك، وإعتبرتها فرصتها الذهبية التي يجب ألا تضيع. وهكذا تحولت الحفلة قبل أن تجد ناعومي فرصة للإعتذار، وهكذا تحولت الحفلة كلها ناحية طاحونة مات وأصدقائه؛ فضلاً عن المصادفة التي كشفت عن تعارف مات بجانيت وبوب من قبل كبهار؛ وبعد قليل من الإيضاحات وصيحات الترحيب، جلس الجميع لتناول

الغذاء، وشعرت ناعومي وكأنها وقعت فى فخ. وأجبرت نفسها على الابتسام، بإمتنان، وتجرعت فى صمت حقيقة أنها مجبرة الآن على قضاء اليوم كله بصحبة الرجل الذى حاولت طيلة أسبوع كامل تجنبه. كان توبى، طبعاً، ضيف شرف الحفلة؛ يحيط به إناس يتحدثون عن الملاحاة والقوارب والمحركات، وهذا مايريده. وشغلها مشكلة أخرى، مشكلة توبى؛ الذى حاولت طيلة أعوامها الماضية الحفاظ على خصوصية حياتها الشخصية وإنفصالها عن عملها، لكن حرصها ذهب مع الريح. لماذا يخذلها قدرها هكذا؟ لماذا من بين كل البشر؛ لا يكتشف سرها سوى الرئيس الجديد لقسم الطوارئ والحوادث بالمستشفى؟ حاولت أن تطمئن نفسها وهى تقول ربما هذا أفضل؛ طالما عرف لوك أننى أرمى طفل صغير؛ إذن سيتلاشى إهتمامه بى، بنفس أسلوب بقية من قابلتهم من الرجال؛ وهكذا يتركنى لحالى وأنعم براحة البال. وسألت نفسها؛ لكن أتريدى ذلك حقاً؟ وتناوبتها الشكوك، وهى تتساءل أتريدى حياة منعزلة وحيدة للأبد؟ لكن الحياة بصحبة لوك ستكون ممتلئة حيوية وسعادة. ولما نظرت لوك ففتة راحة يدها، قالت لنفسها: «عمست لنفسي بصوت مسموع» فم تفكرين أيتها الفتاة الحمقاء؟» وهى تتطلع إلى صورتها فى مرآة الحمام «تزعمين وجود شيء يربطك بلوك بينما لا علاقة هناك أصلاً، مجرد أمانى كاذبة؛ مجرد تفسير ومبالغة لمغزى قبلة وهى شيء لا يستحق التفكير!!».

ارتدت الجينز والسويتير البحرى الذى إستعارته حتى تحف ملابسها، وعكست شعرها فى تسريحة على شكل ذيل

حصان، مما يجعلها تبدو كإبنة السابعة عشر، وهبطت السلم. وهى مصممة على تأكيد إترانها فى مواجهة جاذبية لوك رودريك.

لم يمنحها توبى سوى نظرة خاطفة؛ كان فى قمة نشوته وسعاده ينصت ويشارك فى حوارهم. كان ينصت لحديثهم عن المحركات والقوارب وقوة القارب الذى أنقذهم وإنتشلهم من الفرق، ومدى إستهلاكه للوقود كان كل مايسمعه يشيره. قال لوك لناعومي «ياله من طفل لطيف، مؤكد أنه فخورة جداً به».

أخذت نفساً عميقاً، ياله من سؤال صعب ومحتوم وأجابته «أمه متوفية».

«وأباه؟».

«ولأباه؛ أخشى، أننى أقوم بدور الأم البديلة والأب البديل بقية عمره».

كان المدعوون متجمعون حول مائدة فى مطبخ واسع يطل على الميناء، وكان لوك يحتسى الحساء الدافئ، وهو يحرق فى ناعومي التى تجنبته نظراته، وتطلعت عبر النافذة إلى القوارب العائمة فوق سطح البحر وتتماوج مع الرياح فى مشهد خلاب.

قال لوك بنعومة «آه، هذا يفسر أمور كثيرة».

وهى تنظر إليه وجبينها معقود سألته «يفسر ماذا؟»

«ردك العدائى على حديثى عن الأسرة التى بلا أب يرعاها، وهذا لأنك المسئولة عن رعاية الطفل توبى».

ردت ناعومي «لقد قفزت إلى الإستنتاج المغلوط؛ ربما توبى بلا أب أو أم، لكن كما ترى، فهو لا ينقصه الحنان، وأيضاً لست وحدى المسئولة عن رعايته هناك عمى فلو العجوز

وهي ترعاه بقية الإسيوع ، وهي عامل مريح ومؤثر في حياته .
قال لوك وهو ينظر إلى توبى المستغرق في حديث مع مات
« هو بحاجة لرجل » .

ردت بضيق على ملاحظته « نحن على مايرام بدون وجود
رجل » .

رد متحديا « يجب أن تتزوجي » .
حدثت ناعومي في وجهه بذهول ؛ وإنتابها التوتر ، بالأعصابه
وجرائه !! دائما يمارس هوايته المتسلطة تماما كما هو في
المستشفى ، لكن خارج المستشفى يجب ألا يلغى إلا لحاله !! .
قالت ساخرة « يالها من فكرة جيدة ؛ وماذا تقترح أن
أفعل ؟ أضع لافتة تقول أنا للعرض ؟ » .

يتسم مازحاً « هذه أحد الوسائل التي أقترحها ؛ لكن
بإمكانك » توقف لحظة ثم قال « تبدئين في قذف الكرة وإظهار
قابليتك وجاذبيتك لراغبي الزواج طبعاً ، لاحظت مرة أو مرتين
أنك موافقة على الزواج » إعتراها الخجل لإدراكها الغريزي
لتلميحاته ؛ وأضاف « لكن لسوء الحظ وبدا أنك عاجزة عن
مواصلة ذلك » .

لمعت عيونها بالفضب « أنا متلهفة على الزواج » .
« آه ؛ طبعاً ؛ نسيت ريتشارد نيكولاس لكنه أصغر من أن
يتحمل مسؤولية أسرة !! » .

ردت ناعومي « لست منتظرة من يتشلنى من العزوبة كما
قلت ، ولجحد أنك أنقذتنا من الغرق ؛ لا تظن أن ذلك يعطيك
الحق للتعليق على حياتى الشخصية » شعرت بتورد خدودها
وإحترق أعصابها ، وأدارت مقعدها حتى تتجنب مواجهته .
وحاولت الإستغراق فى الأحاديث العامة وتجاهله .

لم يجدى إشتراكها فى أحاديث المجموعة فى رفع معنوياتها ؛
وبدا وكأن كل شيء يقف ضدها . فلقد وجه مات دعوته إلى
بوب وجانيت لزيارة الطاحونة فى عطلة الإسيوع القادم . وأعرب
توبى عن رغبته فى المجيء معها . وسمعت وهي شاردة مات
بعد توبى أن يصحبه هو ولوك الإسيوع بعد القادم لمشاهدة سباق
الدراجات عند سيلفستر ستون .

قال مات لناعومي « طبعاً نود أن تأتى أنت أيضاً ؛ وطفلك
الصغير يعرف كثيراً عن المحركات » .
ردت ناعومي بإبتسامة « هذا ما فهمته فى النصف ساعة
الأخير فقط » .

كان مات شاباً محبوباً أصلع الرأس وبقايا شعره الفضى
تحوط جانبى رأسه عيون زرقاء لامعة ، ووجهه ضاحك ربما أحبه
توبى لإفتقاده لصديق مثله ، صديق فى مثل شخصية وعمر
والده . ولهذا قررت ناعومي بكل رضاها تدعيم الصداقة مع
مات . وهي تقول لنفسها ؛ لقد كان لوك غخطاً بقوله أنها بحاجة
للزواج ليكون هناك رجلاً بصحبة توبى !! .

كانت تدبر عمداً ظهرها إلى لوك . وكانت الأحاديث
مختلطة والجميع يحتسى الحساء الساخنة ؛ ويلتهمون الخبز
الفرنسى . وعرفت من الحديث أن مات أرمل وله ولدان فى
عمر الصبا والشباب أحدهما سائق سيارات سباق ، وهكذا
خنت سبب الزيارة الموعودة للسباق ؛ ولم تسأله وظلت تنصت
صامتة ، وحاولت الإستمرار فى تجاهل لوك . رغم إحساسها
بنظراته تحترق ظهرها .

عندما أوشكت الحفلة على النهاية لم تجد مهرباً من صحبة
لوك . فالمفروض أنه سيوصلها هى وتوبى فى قاربه إلى لنجتون .

قال لوك حاسماً «أظنكما ستكونان فى آمان معنا» .
أبدى توبى سعادته الغامرة، وفى سرها إرتاحت ناعومى
أيضاً، فهذا أفضل من قارب بوب، لكنها كانت تفضل لو لم
يجىء لوك معها. إلتحقت كل الرؤوس فى الميناء عندما شق
القارب الأحمر الضخم طريقه فوق سطح المياه وهو ينفث دخان
محركاته القوية، ويمضى مسرعاً خارج الميناء. كان توبى معلقاً
فى سماء سعادته، ويقف بجوار لوك.

بعد الوصول إلى لونجستون لوحت مودعة لوك ومات وهى
تشاهدهم يعودون إلى مالتس ورث، وقالت لها العمة «أظن
يا عزيزتى أنك تعملين مع لوك، ياله من رجل لطيف، أليس
كذلك؟» .

ردت ناعومى «نعم» وهى تتمنى لو كان بمقدورها
الإفصاح عن مشاعرها الحقيقية، ومازال توبى يواصل حديثه عن
عطلة الأسبوع القادم حتى قبلته وقالت له طاب مساؤك، وهو
يتبأ للذهاب إلى سريره.
لكنه سأله قبل إنصرافه «ستجئين لمشاهدة السباق
والقوارب، أليس كذلك؟»

إبتسمت له وهى تطمئنه «طبعاً، لو أردتني أن أجيء»
فهى لا تريد تنغيص متعته وإفساد سعادته.
غمغم بصوت ناعم «آه؛ نعم، لقد قال لوك وكذلك مات
أنها يريدانك أن تجيىء، وقال لوك ..»
وأغمض عيونه وغرق فى النوم.

وهى فى طريقها عائدة إلى الصالة حيث تجلس العمة فلو،
كانت الكلمات تنهش دماغها «لوك قال، لوك قال» .
وبدا وكأن غاؤها قد تحققت فلقد إندمج لوك فى حياتها

هى وتوبى. لكنها هزت رأسها بحسم وإصرار لتبتعد تلك
الأفكار عنها؛ وقالت لنفسها هذا بسبب الإرهاق فقط. مجرد
قضاء يوم واحد مع لوك يوم العطلة لمشاهدة السباق وينتهى
الأمر. وفى النهاية الدعوة موجهة من مات.

لكن مازال ذهنها مشوشاً، وعندما إستيقظت فى الصباح.
قالت لنفسها يجب وقف هذه الحماسة، وأخذت حمامها؛
وارتدت الزى الرسمى الأزرق الداكن ولقت خصرها بحزام
أرجوانى غامق، وإرتدت قبعها البيضاء الناصعة.
وهى فى طريقها لمبنى المستشفى العام قالت لنفسها أن
العمل الشاق سيلتهم كل تلك الأفكار السخيفة ولن يكون له
أى تأثير على حياتها الشخصية، فهو مجرد رئيسها فى العمل
ولاشئ أكثر من ذلك.

وهى تتطلع للعمل الشاق الذى ينتظرها وهى فى غرفة تغيير
ملابس المرضات رن جرس التليفون لينبهرهم بالإستعداد
لـ «حالة الطوارئ» وصاحت جلوريا «فى صباح يوم الإثنين
أيضاً، وأنا لم أضع مكياجى بعد، ولا رموشى الصناعية» .
جذبتها ناعومى خلفها «أستغرب ماذا يعدون لنا الآن!!» .

تبعها جلوريا، وعند وصولهم إلى مكتب رئيس القسم
وجدتا لوك والرئيسة مورفى فى إنتظارهم وتلاشى إحتجاج
جلوريا، عندما عرفت أن «حالة الطوارئ» ليست بروفة
تدريب، بل هى طوارئ حقيقية، وبعد حضور كل طاقم
التقريض والأطباء قال لهم لوك:

«هناك تسرب غازات كيميائية من حمام خزان ناقل، لقد
تسرب سبعة آلاف وخمسمائة ليتر من غاز كيميائى غير معلوم،
ولسوء الحظ حدث التسرب من حمام الحزان ليلاً حيث كانت

الناقلة تقف وسط مجمع سكنى، حيث غطى الغاز المنطقة .
ونحن لانعرف طبيعة الغاز الكيماوية الآن، ولهذا سيكون العلاج
صعباً . والحالات الأولى ستصل حالاً» .

سأله الدكتور باتريك روجرز «هل تعرف الأعراض المرضية
التي ستظهر على المرضى؟»

«أبلغنى فريق الإسعافات والشرطة أنهم يعانون من القيء،
والصداع، والدوخان وزبوغ البصر، سنعالج الأعراض الظاهرة
أولاً، وعندما يصلنا التحليل الكيماوى سأخبركم بالعلاج» .

قبل أن تنتهى كلماته وصلت عربات الإسعاف تحمل
الحالات الأولى ووقفت ناعومى مع الطاقم الجميع يعرفون
ماسيفعلن، وهذا بفضل التدريب .

ظهر ريتشارد بجوار ناعومى وشكل فريق بالإضافة إلى
سواروب راو .

قام ريتشارد بمساعدة ناعومى بالفحص الجسمانى للمرضى،
وأرسل الحالات الصعبة إلى غرفة أشعة إكس، وأعطى الذين
يعانون من الإغماء حقناً ثم يحولهم إلى سواروب حيث تقطر
للجميع قطرة فى عيونهم لتنظيفها . كان جميع المرضى بحالة
ليست صعبة جداً

تساءل ريتشارد «متى يتوقفون عن إحضار المزيد؟» وهو
ينظر لفريق الإسعاف يحضر ستة من المرضى الجدد، جميعهم
يكبح ويسعل وتدفع عيونهم .

أجابه رجل الإسعاف «نحن على وشك إحضار آخرهم» .
فى هذه اللحظة انضم لهم لوك وهو يقول «يجب أن تسعدوا
لأن الحالات التى نعالجها ليست مسممة، وفى الغد سيعودون
لحالتهم الطبيعية، ويصبح هذا مجرد ذكرى مؤلمة!!» .

سأله ريتشارد «ما هذا؟»

أجابه لوك «الغاز الكيماوى المتسرب مجرد خليط من
الكحول والميثيل والبوتاسيوم والسلفور والماء والملح» وهو يقرأ
تقريراً «كان فى طريقه لمصنع مخلفات» .

قال أحد المرضى وهو على السرير «يبدو كرهأ لى، هل
أنت واثق أن الأمور ستكون على مايرام؟ يا دكتور؟» .

طمأنته ناعومى «لا تشغل بالك؛ طالما قال الدكتور
رودريك أنك ستكون بخير، إذن يجب أن تثق به» .

رد لوك بصوت هامس «شكراً على ثقتك يا ممرضة» .

بعد ثلاثة أرباع الساعة إنتهى العمل، وأكملوا برنامجهم
اليومى، وراحة القهوة والغذاء . وبدأ معظم المرضى فى العودة
إلى منازلهم، ومن إجمالى سبعين حالة لم يبق سوى ستة
حالات فقط لمزيد من الرعاية والملاحظة طيلة الليل .

أخبرهم لوك بأن طاقم الوردية الصباحية سيرتاحون بقية
اليوم، رد ريتشارد «ماذا بقى فى اليوم، لن نستطيع إكمال
بحثنى اليوم؛ ذهنى مشوش» .

خلعت ناعومى حذاءها وهى تشرب قهوتها كالعادة، وقدمها
توجعها من ضيق الحذاء، والتعب أنك قواها، أنهى ريتشارد
طعامه ووقف «تحياتى لك ووداعاً» .

داعبته جلوريا «إمضى يا ريتشارد ستعود حالاً!!» .

بينما تلبس ناعومى حذاءها سألتها لوك «لماذا لا تلبسين حذاء
أكبر؟» .

«ولماذا لا تكن فى حالك؟»

«فكرت أن ألقى به من النافذة حتى تشتري حذاء أكبر،
لكن لا تقلقى لن أفعلها، فلن أتحمل أن تسير إحدى ممرضاتى

فى المستشفى حافية القدمين!!» .
كانت الممرضات تنصرفن وتمنت ناعومى لو تبعتهن ، حتى
قالت السيستر مورفى «أنا ذاهبة الآن يالوك هل تريد شيئاً آخر
قبل إنصرافى؟»
«لا شيء سوى أن تبخى لى عن عروس عذراء رائعة
الجمال» .
ردت مورفى «أمامك ناعومى» كانت دعابتها غير
مألوفة!! .
ردت ناعومى «لست فى حالة تسمح لى بذلك» وقفت
وقالت «عفواً، سأنصرف» لكنه أشار للجرسون ليحضر لى
فنجان قهوة آخر .
ورد عليها «حسناً، على الأقل إشرى معى فنجان قهوة،
ليست فى عجلة، أهنأك شيء ملح؟ طالما لن تنهيبى لشراء
محذاء كبير!!» .
«لا، لن أشتري!!»
سألها «أين روحك المرحّة؟ لا ضرر فى الأقدام
الكبيرة!!»
«قلعى ليست كبيرة، ولا أريد أن أشرب قهوة؛ شكراً
لك، حان موعد إنصرافى للراحة» .
«آه، نعم، دائماً تهربين» .
حاولت التمليل فى مقعدها وهى تحاول تجاهل تلك
الأحاسيس التى إجتاحتها وهربت من نظراته .
فاجئها بسؤاله «من والد توبى؟»
تلعثمت «لا أدرى» .
«من هو؟»

نظرت مطأطأة الرأس إلى قدميها تحاول التفكير فيما ينبغى
قوله، فلا مناص من الإجابة، وقالت فى النهاية «لا أدرى من
يكون»

رد فى إستكار «لا تعرفين» .
«لا، لدى فكرة، لكننى لست واثقة؛ ولم أفعل شيئاً حتى
الآن» .

«لا أصدق هذا — خصوصاً عندما تقولينه أنت بالذات» .
ذهلت لكلماته، ورفعت رأسها عالياً ونظرت إليه، وجدت
فى أعماق عيونه تعاطف حقيقى، وفجأة حاولت كتم ضحكة
هيسترية، أظن أنها أم توبى وليست خالته!! أيعقل هذا
ناعومى سيلبون الفتاة العذراء الغير واثقة من نفسها، الساذجة،
يظنها لوك رودريك أم بلا زواج!!

ذهلت لكلماته، ورفعت رأسها عالياً ونظرت إليه، وجدت
فى أعماق عيونه تعاطف حقيقى، وفجأة حاولت كتم ضحكة
هيسترية، أظن أنها أم توبى وليست خالته!! أيعقل هذا
ناعومى سيلبون الفتاة العذراء الغير واثقة من نفسها، الساذجة،
يظنها لوك رودريك أم بلا زواج!!



الفصل السابع

مفاجأة

جاءت كلماته لتؤكد شكوكها عندما قال «أنظري يا ناعومي، لن أخن، بل يجب أن تفكرى فى تحليل دمك لتحديد من شريكك فى أبوة توبى؟»
وليزيد الطين بلة كما يقولون مد يده وأطبق على كفها، عند أول لمسة شعرت ناعومي بارتعاشها وحاولت النظر بعيداً. كان صوته فى منتهى الجدية، ونظراته الآسيانية، كل ذلك جعلها ترتعد. فهي لم تفكر أبداً فيما يظنه البعض عن طبيعة إنتاء توبى لها، فى الواقع لم تلتفت أبداً لذلك. لكن الآن، ها هي مذهولة من شكوك لوك فعلاً!!

لكن؛ رغم هذه الحقيقة؛ مازالت عاجزة عن الكشف عن الحقيقة، لأنها بذلك ستخون ذكرى شقيقتها تيفانى؛ وهي تعتقد أنها تستحق الحفاظ على كرامتها فى عالمها الآخر. فهي الآن لا تملك حولا للدفاع عن نفسها وناعومي هي الوحيدة القادرة على ذلك.

قطع لوك شرودها وصمتها بقوله «ها هو فنجان قهوة آخر؛ لاداعى لكل هذا الأسى؛ لست أول فتاة يحدث لها هذا».

شردت فى أفكارها السوداء؛ وقالت فى سرها؛ الأمر يتردى من سىء إلى أسوأ، أظننى أنجيت طفلاً سفاحاً لا أدرى من يكون أباه!! من حقه أن يفكر هكذا!! وظلت غارقة فى صمتها إحتراماً لذكرى شقيقتها تيفانى؛ وتناولت فنجان القهوة وداومت فكرة ملحة بالهرب والابتعاد عن طريق لوك قبل أن تضطر لنسج مزيد من الأكاذيب، فهي ستتركه على وهمه، وتجعله يركن لتصديق هذه الإكذوبة، وأنها أم توبى. ولكن خشيت لو ظلت بجواره لن تطيق كل هذا وربما تنفجر وتحكى له كل شىء عن تيفانى وديرك رود برجز.

ارتشفت بقايا الفنجان مرة واحدة ووقفت على قدميها وقالت «يجب أن أذهب فعلاً»..

«لكننا لم نناقش الإحتمالات بعد..»
«ليس هناك ما أريد مناقشته، ورغم تقنى فى مقاصدك، لا حاجة لأن تشغل نفسك بأمورى؛ بإمكانى الإهتمام بنفسى وتوبى».

«لكننى أحب توبى، بطريقة غريبة شعرت وكأننى أعرفه منذ مدة، ياله من أمر فى منتهى الغرابة» كان وكأنه يحادث نفسه.

وافقته ناعومي وهي تضحك بمرارة.
«نعم إنه غريب؛ لكن على الأقل فأنا أعرف أنك لست أباه!!».

بمجرد أن لفظت تلك الكلمات تمنى لو لم تنطقها؛ فهي تستحق قطع لسانها، لكن يبدو وكأن شيطاناً تلبسها وأسلمت له قيادها ليس لحجب الحقيقة بل لدفع لوك لمزيد من إساءة الظن بها، لذا قالت له «عفوا، سأنصرف الآن».

لف خصرها بيده وهو يقول لها «ألم تفكرى فعلاً فى مدى

تأثير ذلك على توبى !!؟» .

حاولت دون جدوى إبعاد يده عنها ، وعندما نظرت إلى ذراعه القوية التي أمسكت بها دون فكك ، على الفور جال بذنها صورة القرصان البحري على غلاف الرواية التي كانت تقرأها مورفى .

وشعرت بضغط ذراعه حولها ؛ وكان بمقدوره تمزيق أى رجل يواجهه .

وشعرت بضعفها الإنثوى ، وإنفجرت قائلة « دعنى وشأنى أيها المتجبر ، ومن فضلك إنسى وعدك بشأن عطلة الاسبوعين القادمين . ليس لدى أى رغبة لقضاء راحتي معك أو مع أصدقائك . لدى ما يكفينى ولست أطيق هذا الإستجواب !! » . غام وجهه بالغضب « لو تراجعت إذن لأثبتى أنك لا تهتمين بتوبى كما تزعمين ، ماذا ستقولين له ؟ أنك لا تستلطفينى ولهذا تحرمينه من المتعة ! » .

« أنك خبيث .. » وتوقفت الكلمات فى حلقها ، وهى تدرك مدى صدق كلامه ، فهى لا تستطيع أن تفعل ذلك . وحاولت التلصص منه .

لكنه قال « لا تهمنى بإكمال عبارتك فهمت ماتريدنين قوله » .

ردت فى لهجة هادئة رغم أن قلبها يوجع بمواقف شتى « يشرفنى تلبية الدعوة للخروج معكم فى عطلة نهاية الإسبوعين القادمين كما إتفقنا ؛ لكن بعد ذلك سأكون فى غاية السعادة لو ابتعدت عن حياتى » .

نجمت فى التلصص من قبضته ، وحاولت الخروج ؛ وهى تضيف بصوت خفيض « سأكون فى غاية الإمتنان لك لو

إحترمت رغبتى » .

لكن ؛ حتى وهى تطلب منه الإبتعاد عن حياتها ؛ كانت ناعومى تعرف أن بإمكان لوك أن يصبح الأب الذى يحتاجه توبى والحبيب الذى تتمناه . وشعرت بوهن وضعف جسدها وكان قدمها ستخونها وإختلطت داخلها مشاعر الغضب والإحباط فهى تعرف أن شيئاً من ذلك لن يحدث .

ضاعف لوك من اليأس والأسى الذى يملأ كيائها بقوله « أظنك على حق . يجب أن أتحدى بالحكمة وابتعد عن طريقك وحياتك يبدو وكأننا نخط الماء بالزيت » .

تمنت لو بكى ؛ صرخت ؛ شرحت له الحقيقة ؛ لكن الكلمات تجمدت كالأحجار فى حلقها . وغطت الدموع عيونها ، وإستدارت وغادرت البوفية . واستغرب مدير البوفية عن سبب جلوس لوك رودريك وحيدا يحدق فى فنجان قهوة ووجهه يتطاير شرر الغضب منه .

رغم إرهاقها من العمل فى البار تلك الليلة ، إلا أنه ساعدها على نسيان همومها الحالية ، وأفكارها حول لوك وتوبى ، فلقد ظلا الإثنين مرتبطان معاً فى غيبتها . وعندما أوشك المساء على الرحيل ؛ قالت لنفسها يا لحماقتك وغباتك لعلك لوك يظن أنك أم توبى . لقد جاءت فرصة ذهبية لإبلاغه بالحقيقة ومع ذلك ضاعت سدى ، والآن فات أوان التراجع . سيحقرها الآن ، ولن تلوهم ، فهى الملوثة !! وابتسمت ابتسامة حزينة ، وفى النهاية قالت لنفسها ؛ لقد أعددت حفرتى بنفسى ولم يبق سوى أن أدفن نفسى داخلها !!

عندما دخلت ناعومى المطبخ قالت لها موللى « يارحمة السماء يا عزيزتى لقد بذلت جهداً خارقاً اليوم أكثر من كل

الأخريات، لا أدري من أين تأتين بتلك الطاقة». ردت ناعومي ضاحكة «طاقة عصبية» يا لصدق تلك الكلمة!! فهي تشعر فعلاً وكأنها تجري حتى لا يلحق بها مخلوق غامض يطاردها؛ شيء لا تستطيع التعبير عنه بكلمات، ولكنها تدرك أنه شيء يخص علاقتها بلوك.

هكذا تبذل قصارى جهدها الجسماني وتقوم بكل شيء حتى لا تترك فراغاً لخيالها أو أفكارها. ومع ذلك طرأت لها فكرة الانتقال لمستشفى آخر، هذا أحد الوسائل لتجنب الارتباط بلوك، لكن هذا سيفرض عليها البحث عن عمل إضافي آخر لتوفير قدرًا كافيًا من المال، واعترفت بعجزها عن تحقيق تلك الرغبة.

ورغم إرهاقها الجسدي، عندما تضع رأسها فوق الوسادة، يستعصى النوم عليها، وتتماوج خيالات ووجه لوك أمامها ويقلقها ثقته بأنها أم توبى.

كان صباح اليوم التالي كئيبيًا، كان يوم صيفي إنجليزي عادي وممطر، لكنها كانت أكثر إحساساً بكآبته من كل زميلاتها. كان لوك أكثر صرامة في تعامله معها، ولم تجدى محاولتها لعدم الالتفات له، فلقد عانت من مشاعر الإهانة والتعاسة. وقالت لنفسها كان ينبغي أن أسعد بذلك أنا التي قلت له أن يتركنى وشأنى.

إنتابها إحساس بغبنائها وخافتها، وقالت لنفسها يجب أن استبدل زى الممرضة الأزرق بزى آخر أحمر؛ لقد جعلته ينظر إلى وكأننى امرأة ساقطة مبتذلة، رغم أنه ليس من حقه تقييم سلوكى والحكم على أخلاقى، وإلا لكانت أعمدة الشائعات والفضائح فى الصحف أولى بذلك. فهو عندما كان نجماً

تليفزيونياً شهيراً فى تلك المسلسلات لم تنقطع الأقاويل حوله. وهى الآن تذكر أحد العناوين الصحفية عنه «الجراح بصحبة فتاة جديدة فى كل ميناء».

ولهذا فالتظاهر بالإستقامة مجرد نفاق وخداع، قالتها لنفسها وهو يمر أمامها ويدخل مكتبه ويفلقه خلفه، وكررت بأسى أتمنى أن يريح ذلك ذاتك المريضة!!

ردت الرئيسة مورفى على تساؤل باتريك «السيد رودريك يكتب ورقة بحث، وقال أن تتصرف بنفسك مالم تأتى حالة طارئة».

تاؤه باتريك وتبادلت ناعومي وجلوريا النظرات. فهما تعرفان أن باتريك لا يرتاح للعمل الشاق. ودائماً يخلق المبررات للتهرب من العمل.

صاحت جلوريا «يا له من طقس كئيب!!» ووقفت للحظة بجوار ناعومي وهى تحاول إخراج صورتي أشعة إكس من رزمة الملفات المقدسة وأضافت جلوريا «يبدو أننى سأستقيل وأبحث عن وظيفة فى إيطاليا».

قالت ناعومي مندهشة «هل تتحدثين الإيطالية؟» «ولا كلمة واحدة» وأشارت إلى رذاذ المطر المنهمر من السحاب «لكن هذا شيء يتعلم بالغريزة!!»

وافقتها ناعومي «نعم أنت على حق، ما أجل الهروب من هنا».

جاءها صوت لوك من خلفها «الهروب خصوصاً من الحقيقة لن يصل بك إلى شيء؛ ستلاحقك الحقيقة أينما ذهبت». ردت ناعومي حاسمة «كالمعتاد دائماً تلتصص على الحديث الشخصى؛ وتصل إلى نتائج خاطئة تماماً» وقالت فى سرها

باله من رجل، وإلتفتت لتواجهه وهي تضيف «كنت أتحدث مع جلوريا، وكنا نتحدث عن الطقس!!»

«لست متلصصاً!!»

«أعتقد أنني إتفقت معك بأن حياتي الشخصية شيء يخصني وحدي»

رد عليها «لا أذكر أنني إتفقت معك على أي شيء»

«أليس هناك برنامج أو أي شيء يساعدك على تقوية الذاكرة؟ أنا واثقة أنني قرأت مثل هذا البرنامج في ملحق الصنداي».

«لا حاجة للابتذال!!»

«هذا هو الطريق الوحيد الذي أعرفه».

رد عليها «من الواضح أن هذا ليس المكان أو الوقت الملائم لمثل هذا الحديث».

بأذنته الرد «لن يكون هناك أبداً وقت أو مكان ملائم» مع كل كلمة تنفوخ بها تشعر وكأنها تبعده عنها أكثر فأكثر، فهي ليست بحاجة لشافته أو عونه.

جذبتة السيستر مورفي بعيداً تجاه مكتبها، وعادت ناعومي لترتيب صور الأشعة. وقالت في سرها إهتم بشأنك يا لوك، مهما كانت دوافعك نبيلة، ومع ذلك تشعر بإغذاب له، شيء لم تشعر به تجاه أحد قبله، وفي نفس الوقت تشعر بخطرته الذي يتهدها، تهدت، كم تكون الحياة أحياناً عنيدة!!

إنقضت الظهيرة دونما وصول حادثة واحدة؛ مما أسعدها. وعاد لوك للتصرف معها وكأن شيئاً لم يحدث، وهكذا مر الوقت بسلام، حتى عادت روز مورفي وهو يتحدثان عن وظيفة الرئيسة مرة أخرى.

قالت مورفي «لسنا أمامنا مرشحة أفضل منك».

وأضاف لوك «ونحن نتوقع أنك غيرت رأيك، أعرف أنها لن تضيف لك عائداً كبيراً بل تحمل في طياتها عون هائل لنا».

قالت ناعومي كذباً «لا دخل للنقود بذلك» فهي لا تجرؤ على أن تقول لهم أن دخلها من العمل في البار كجرسونة يمثل أربعة أضعاف دخلها من وظيفة الرئيسة دون تحمل أعباءها!! تبادل لوك ومورفي النظرات الغاضبة؛ ولم ينطقا بكلمة واحدة.

عندما دخلت ناعومي المطبخ سألتها موللي «كيف حالنا الليلة؟» وهي ترتدى مريلة الجرسونة وتطالع صوتها في مرآة مطبخ البار؛ فهذا الزى أكثر شيء تكرهه في عملها. فهو قصير جداً بالنسبة لها ويظهر جانباً كبيراً من سيقانها الطويلة؛ مما يلفت إنتباه زبائن البار. ورغم أنها تعمل هنا منذ عامين؛ فهي دائماً ترمق كل من يحاول مغازلتها.

دائماً يتناول العاملون في البار طعامهم قبل بدء العمل بنصف ساعة مما يساعدها على الإقتصاد في نفقاتها وتوفير الكثير من دخلها.

ردت على سؤال موللي «أنا بخير» وهي تتجول في المطبخ قالت لها «أشم رائحة شهية»

ردت موللي «شرائح لحم مشوية، لكنها ليست لأمثالنا!!» «الرائحة تكفيني بقية المساء!!»

جاء المدير ليخبرها «الموائد كلها محجوزة الليلة، هيا للعمل، التركيز هو شعارنا».

أسرع الجميع كل إلى موقعه في المطعم، للتأكد من إعداد

كل شيء. «لقد رأيتك في الحلم ليلة أمس» ردت ناعومي.
 في وقت متأخر من الليلة بعد أن التعب من الجميع؛ جاء
 المدير السيد موجر ليبذل ناعومي «لقد رقت لإقامة حفلة أخرى
 على أحد موائدك، فهي حجزت مؤخراً، قسى على خدمتها».
 قالت ناعومي؛ عظيم ياله من يوم طويل وشاق، وعندما
 خطت خطوة واحدة تجمدت في مكانها!! لمحت ظهر لوك
 زودريك وبصحبته ثلاثة رجال آخرين.
 للحظة فكرت في التراجع، ولكنها تراجعت عن فكرتها.
 ففي النهاية سيعرف إن اجلاً أو عاجلاً أنها تعمل ليلاً جرسونة
 ولكنها كانت تفضل لو إكتشف شخص آخر غيره تلك
 الحقيقة!!
 أخذت نفساً عميقاً، وتمنت ألا تحونها سيقانها، وإتجهت
 لتقف بجوار المائدة، ووقفت خلف لوك، لكن أحد رفاقه هو
 الذي ألقى بأوامره لطلباتهم وليس هو لحسن حظها، بينما كان
 لوك منشغلاً في حديثه مع الآخر.
 حاولت كتابة «الطلبات، وبعد الإنتهاء قالت له «شكراً،
 يا سيدى» تحدثت بلهجة متتكرة، وعادت إلى المطبخ وهي
 تنهد في ارتياح، وعادت بالطعام وبمهارة قدمت لهم دون أن
 يلحظها، وفي النهاية دفعت جوس زميلتها لتقديم القهوة والحلوى
 لهم.
 لكنهم طلبوا تشكيلة أخرى من الحلوى، وعندما وقفت أمامه
 لتسأله «ماذا تريد يا سيدى؟»
 إلتفت لوك وقال لها «قربى الحلوى حتى أختار».
 ردت ناعومي بصوت عميق «نعم يا سيدى» ولكنه لم ينظر

إلى الحلوى بل إلى ساقها وهمس «جميل جداً».
 قالت له «أرشح لك هذا النوع»
 جاءها رده «سأخذ بنصيحتك».
 في النهاية ظل لوك مكانه ليدفع فاتورة الحساب؛ وقدمت
 ناعومي له الطبق في صمت، ودون إلقاء نظرة وضع أوراقاً
 مالية على الطبق وأعادها لها. وأسرعت هي في طريقها ناحية
 مكتب الحسابات لكنه أوقفها ووضع ذراعه فوق كتفها، وقال
 «سيقان جميلة، تدبر عقل زبائنك؛ أتخيل ذلك».
 ردت ببرود «لا أدري، معظم في غاية الأدب، هذا مطعم
 للطبقة الراقية كما تعرف!!»
 ضحك لوك «وأنا يعجبني خصوصاً الصوت الناعم، واضح
 أنك مظلومة في مهنة التمريض، كان يجب أن تكوني
 مثلة!!»
 وقفت خلف مقعد لتعجب ساقها المكشوفة «ماذا ستفعل؛
 بشأن عملى هنا؟»
 نظر إلى أصدقائه الواقفين في إنتظاره وقال «لا أدري؛
 سأفكر في ذلك، للأسف يجب أن أنصرف الآن».
 توسلت إليه بعصبية «لن تقول للسيستر مورفي، لتطردني
 لمخالفة اللوائح؟»
 فكر لحظة وقال «كل هذا يعتمد على!!»
 «على ماذا؟»
 «سأخبرك عندما أفكر».



الفصل الثامن

حقيقة غائبة

مهما كان قصده بكلمته تلك ؛ لا يهم ؛ وعندما وصلت إلى سريرها ألقت بنفسها من الإجهاد ؛ فهي مرهقة جداً ولا تستطيع التفكير في أى شيء . فلقد وقع في النهاية أسوأ توقعاتها ، أليس كذلك ؟

عندما إنتهت من راحتها ، باءت كل محاولاتها ؛ في تشغيل سيارتها الرينو القديمة ، وقال لها كبير الجرسونات « يجب أن تشتري بطارية جديدة » .

كان في غاية اللطف وقام بتوصيلها حتى نهاية الطريق ، لكن مع ذلك بقي هناك مسافة طويلة يجب أن تمشيها تحت الأشجار في الظلام ؛ فهذه المنطقة بيوتها قديمة وتحوطها الأشجار والحدائق ، وحاولت أن تهدأ نفسها ، رغم أن الساعة الثانية صباحاً .

قررت أن تتصل في الصباح بالجراج لإصلاح السيارة ؛ وتمنت ألا تكلفها كثيراً ؛ وبعد ذلك ذهبت إلى قسم الطوارئ وهي تمنى ألا يكون لوك قد أبلغ أحد بما رآه .
عندما لمحتها جلوريا قالت « ياربى ، تبدين متهاكة

ياناعومى ! » .

« المراوغة ليست أحد مزايك !! أليس كذلك ؟ » .

دخلت سواروب غرفة تغيير ملابس المرضات ؛ وسمعت الحوار وقالت لها « كيف يا جلوريا تجرؤين على قول ذلك لها ؟ » .

ردت جلوريا « لأنها تبدو فظيعة فعلاً ، لا أدري ما تفعلين ياناعومى في سهراتك ؛ لكن مهما كان فهو غير صحى !! أنا .. آسفة » .

إصطلمت جلوريا بلوك ، فلقد سمع الحوار ، أمسكت ناعومى نفسها ، في إنتظار ما سيحدث ، ما سيقوله ؟ هل سيقول لهم أنها تعمل جرسونة ليلية ؛ ولهذا تبدو متهاكة ؟ .

نظر إليها ؛ وكأنه على وشك الحديث ؛ وغاص قلبها في قديمها ، سيقول لهم ؛ وبعد ذلك تطلب منها مورفى أن تستقيل . لكنه سيكون ظالماً ، لكنه في النهاية إيتسم لها بأدب وقال « صباح الخير يا بنات » وسار في طريقه إلى مكتبه .

نظرت إليه ناعومى وهي تتند في إرتياح ؛ لم يقل شيئاً وحافظ على شرف كلمته ؛ لكنها تذكرت تلميحة وعبارته ليلة أمس « كل شيء يعتمد على » .

وجلوريا تدفعها قالت لها « تعالى لا تقضى هكذا !! » .

ضحكت ناعومى وتبعث جلوريا في الممر ؛ فجأة شعرت بمرح رغم قلقها على سيارتها ؛ ومدى تكاليفها ، لكن لا يهم لقد كتم لوك سرها .

قررت جلوريا إجبار باتريك على القيام ببعض العمل ، لكن خططهم ضاعت أدراج الرياح عندما جاء الدكتور لوك ليعلن تغيير الوردية وإحلال الدكتور سنجوبوتا محل باتريك .

وإحلال الدكتور سنجوبوتا محل باتريك .
قال الدكتور سنجوبوتا « سأفحص كل الحالات » التي
ستصلنا، يجب أن نتعاون معاً .
مضى الصباح عادياً، حتى لمعت الأضواء الزرقاء لسيارة
الإسعاف قادمة بعد تلقيهم اتصالاً لاسلكياً « هناك مريض
مصاب بجروح خطيرة في طريقه إليكم » هكذا أبلغهم سائق
الإسعاف .
أصدر لوك أمره إلى ناعومي « تعالى معي » ثم إلتفت إلى
جلوريا « أبلغى روز مورفي لإستدعاء باتريك حيثما يوجد، حتى
يساعدك في الفحص الإكلينيكي » .
مضى في طريقه سريعاً وناعومي خلفه ؛ وقبل أن تتوقف
سيارة الإسعاف قفز السائق ورفيقه وفتحوا الباب المزدوج في
الحلف حيث أنزل المريض كان المريض في الأربعينات،
مصاب بجروح عديدة، في الواقع، عندما جلست ناعومي لترى
ملابسه، إستغربت أن الجروح تغطي كل جسده . كان أبرزها
ساقيه المحطمتان، وجرح خطر أسفل عينه اليسرى، والدماغ
تغطي كل ملابسه الداخلية، وكان من الصعب معرفة لون
شعره، فالدماء تغطيه بأكمله .
لم تهتم ناعومي بنظافة زها، أو الحفاظ عليها، كل تركيزها
كان منصبا على إنقاذ هذا البائس، وتلوّثت ملابسها وملابس
لوك بأكملها بالدماء .
همس لوك « أخشى أنه سيفقد عينه اليسرى » .
بعد أن كشفت كل مواضع الجروح بدأ لوك فحصه، بمهارة
تؤكد خبرته العملية الفارقة رغم إفتقاره للتأهيل النظري
كطبيب، بدأ أولاً فحص صدر الجريح وقال لها « أحضري قناع

الأكسجين » .
وبعد ربع ساعة، كان الطاقم بأكمله يبذل قصارى جهده
للحفاظ على تنفس المريض ووقف الزيف ونقل الدم له .
قام لوك بمساعدة طبيب آخر يشفط الدماء من صدر الجريح
حتى يتم تنقية جهازه التنفسي .
سألها لوك « هل أصبح جاهزاً للعمليات ؟ »
ردت ناعومي « غالباً، بدأ الضغط يعمل » .
التقط سماعة التليفون واتصل بغرفة العمليات « ماك ؟ آه،
حسناً، أنا سعيد لوجودك » فالطبيب ماك دونالد أفضل جراح في
المستشفى العام « المريض في طريقه إلى العمليات، نعم،
نعم، صدر المحطم له الأولوية في رأيي، وساكون شاكراً لو
وافقتي » .
صاح أحد الأطباء « هناك نقص في ممرضات العمليات » .
إستدار لوك ناحية ناعومي « أنت مدربة على العمليات،
أليس كذلك ؟ »
« نعم .. لكن ... »
« حسناً، هيا، لا يهمك سأفصل بهم لأخبرهم أن أفضل
ممرضة في طريقها إليهم » وابتسم لها شاكراً . وهي لم تجد
ما تقوله، فالمريض البائس في ميسس الحاجة للجراحة العاجلة .
في غرفة الإنعاش تم إنقاذ المريض وبدأ الفريق الجراحي
والعمليات عملهم، يبذل قصارى جهده، وأسعدها روح
التجدي في عملها معهم، لكن الوقت مضى سريعاً وأصبحت
الساعة الخامسة بعد الظهر، وقت إنصرافها الطبيعى .
إنقضى باقى الاسبوع في عمل متواصل وبدأ شعورها
بالاجهاد يصل مداه . وهي لم تشتري البطارية الجديدة لسيارتها،

وبدا تسير على قدميها، وكل ليلة يقوم جيم بتوصيلها. وعندما أهل يوم الجمعة ركبت الاتوبيس عائداً إلى لينجستون، وبأهلها من رحلة شاقة، لكنها وصلت في النهاية.

عندما دخلت المطبخ جاء خلفها توبى ليذكرها بوعدها لمصاحبتها إلى الطاحونة في مالتس ورث مع بوب وجانيت. قال لها «قلت أنك ستأتين معي» وأريدك أن تشاهدي القوارب الكبيرة أيضاً؛ آه، يجب أن تأتي معي!!» وتدخلت العمة فلو بحسم «نعم، يجب أن تذهبي معه، بوب وجانيت لن يستطيعا الذهاب».

وعدهت ناعومي «طبعاً سأذهب معك» طيلة الأسبوع الماضي لم ترى لوك كثيراً، باستثناء استدعائه لها إلى مكتبه لتنشأ على عملها في غرفة العمليات، كانت محادثات ولقاءاتهم محدودة. وهذا أراحها كثيراً من الخوف لإعادة فتح موضوع أبوة توبى ثانية.

انقضت عطلة نهاية الأسبوع بسرعة خاطفة، وكان صباح الأحد مشرقاً مشمساً كان توبى يتعجل بجميئه، ولا يمل التحدث عن القوارب والمحركات، حتى أوشكت على الجنون هي والعمة فلو من ثرثرته. والآن جاء صباح الأحد، ولقد إستيقظ مع تبشير الفجر، وإرتدى ملابسه وإستعد قبل أن تصحو ناعومي. قالت العمة فلو وهي تلوح بيدها لهم «تصحبكم السلامة وطاب يومكم، أنت محظوظون، كم كنت أتمنى مشاهدة تلك الطاحونة القديمة».

وتمنت ناعومي لو أن العمة هي التي ذهبت مع توبى بدلا منها! لكنها لم تعلق بشيء. والآن جاء يوم الأحد وما زالت تأمل لو لم يجيء لوك، أو جاء ليعيد فتح الموضوع معها، فهي لم

تفتاح العمة فلو بشأن أسساراته عن والد توبى، غريزيا شعرت أن الأفضل ألا تتحدث عن ذلك.

كان اليوم لطيف وهادئ وسماؤه صافية، يوم مختلف عن سابقه، وهما يسيران بمحاذاة الشاطئ، كان توبى لا يمل من تكرار حديثه عن المحركات والقوارب الكبيرة، وعند وصولهم إلى الطاحونة، فتحت ناعومي بابها التي تفصل حديقتهما عن الشاطئ. وظهر مات عند الباب الداخلي ولوح مرحباً بهما. وعند إقترابها منه بادرهم قائلاً «أخشى أنني بمفردي اليوم، جانيت مريضة ولوك منعه ارتباطه بشيء».

ردت ناعومي «أمر يثير للشفقة، لكن لا يهم» حاولت إخفاء سعادتها «عموماً توبى يريد مشاهدة قواربك فقط، والمحركات».

ضحك مات «الطفل الساكن قلبي» بينما يشرح مات عمل المحركات لتوبى تحولت ناعومي حول الحديقة الداخلية والسور الحجري، الذي صمد لأمواج البحر قرون، وهو يلمع تحت ضوء الشمس. كانت الحديقة مليئة بالورود والزهور ذات الروائح الأخاذة، ياله من مكان مريح. وقبل تناول الغذاء، غداء رحلات، في الغرفة الدائرية داخل الطاحونة، والتي كانت تستخدم أصلاً كفنار للسفن ومنارة.

سأله توبى «عما كانوا يبحثون أو يراقبون؟» رد مات «رجال الجمارك، العائلة التي كانت تمتلك الطاحونة في الأيام البعيدة كانوا زعماء عصاة تهريب». أثناء تناول الطعام، أمطره توبى بأسئلته، كان يريد سماع قصص وحكايات المهرين. بعد إنتهاء الغذاء، وقف مات وقال «حان وقت ركوب



الفصل التاسع

سباق السيارات

يبدو كأن القدر كان له تصرفاً مخالفاً لرأيها، لأنه بمجرد وصول مات وتوبى، لم تعد هناك فرصة لمصارحة لوك بمفرده. وبقدر حبا لتوبى، وتقديرها لمات، تمنى لو إختفى كل منها فوراً ولو لمدة خمس دقائق فقط. لكن توبى ينقل إهتمامه بين مات ولوك وإلتصق به. ولم يعد هناك بديل سوى تأجيل فكرة مصارحته حتى تمن فرصة موأبة بعد عودتهم للعمل فى المستشفى.

لكن لمضاعفة إحباطها بدا وكأن القدر يزيد إيلاهما. ففى صباح يوم صدمت لعدم رؤيتها أى أثر لوجود لوك. وكانت روز مورفى فى حالة عصبية سيئة، وتسرع بقدر ماتقدر على حملها قدامها، لتشكو كما هى العادة من تأخر ريتشارد.

قالت بمجرد أن لمحة جلوريا وناعومى «أعرف أن باتريك روجرز ليس كفىً بالقدر الكافى لكن على الأقل فهو موجود، بينا دكتور نيكولاس...».

جاءهم صوته المرح «أسمع اسمى ينادى بلا جدوى؟» كان يسرع الخطى وهو يكمل إرتداء المعطف الأبيض.

ردت السيستر مورفى «لقد تأخرت».

«أعرف لكن معنى أخبار مذهلة». وحاول أن يحملها ويهددها ولكن ثقل وزنها منعه وأضاف «الآن نجحت!!» صاحت جلوريا «آه، عظيم ياريتشارد» وهنأته ناعومى وأبدت مورفى سعادتها وهى تقول له «هنياً بنجاحك أيها الشاب الصغير».

وبعد رحيل مورفى قال لجلوريا وناعومى مازحاً «هل تعرف مع من تتحدثان؟ يا ممرضات؟ تتحدثان مع رئيسكم الجديد أنا المسؤول طيلة الأسبوع. باتريك روجرز سيبقى فى عمله وسيتولى دور الأخصائى ديفيد شان».

أثناء حديثه جاء الطبيب الصينى الشاب بنظافته البالغة وإنضم إليهم. وتم التعارف؛ وإندفعت ناعومى تسأل ريتشارد «أين لوك روديك؟»

«ذهب إلى لندن؛ إلى كلية الجراحين الملكية».

«لكنه ليس...»

قاطعها ريتشارد «لم يقل شيئاً؟ لم يكن بمقدوره؛ فهو نفسه لم يكن يدرى حتى ليلة أمس. إتصل بى فى المنزل وطلب منى تولى مسؤولية القسم مع السيد سينجوبوتا طبعاً».

تدخلت جلوريا بفضولها «لكن ماذا يفعل فى لندن؟»

«هناك مؤتمر علمى كبير طيلة الأسبوع؛ وأحد كبار المتحدثين وقع ضحية المرض. وكانوا يريدون شخصية مشهورة، ولذا من أفضل من نجم المسرح والشاشة والمستشفى السيد لوك رودريك، بيب بيب!!».

ردت ناعومى مازحة «أخيراً شهرته لا تفارقه» وحاولت إخفاء إحباطها.

علق ريتشارد «بل شهرته لا تفارقه أبداً».

حزنت ناعومى فهي كانت مهياة لمصارحته بالحقيقة عن توبى بمجرد أن تلقاه، وكانت تؤمل حدوث ذلك صباح اليوم. وبدلاً من ذلك يفاجئها حظها بغيابه لإسبوع بأكمله. وبعد الأسبوع سيكون قد نسي جيشان مشاعره!! وعادت وساوسها تؤرقها وتقول لها تناسى لوك رودريك وإنتهى لحياتك!! رغم أنها تعرف مدى عجزها!!.

قطع صوت جلوريا خواطرها «تعالى؛ لا تقف هكذا، المرضى فى إنتظارنا».

قفزت ناعومى «آه، حاضر، هيا بنا» وأسرعت الخطى باتجاه الإستقبال، ولحقت بها جلوريا فى المكتب وسألها «هل أنت بخير؟»

«آه طبعاً، لماذا تسألين؟»

«تبدلين منزعة وقلقة».

ردت ناعومى «خيالك خصب هذه مشكلتك يا جلوريا».

«نعم، أظن ذلك دائماً وخصوصاً عندما أفكر فى وجود لوك رودريك فى لندن وسط كل النساء الرائعات، إنها طبيعة بشرية، أليس كذلك، سيذهب لمقابلة النجمات اللاتى عملن معه فى مسلسلات التليفزيون آه، كم كنت أتمنى أن أكون فى لندن ولست هنا».

ردت ناعومى ببطء «نعم، أفترض أنه سيفعل ذلك».

قالت جلوريا بتهيدة «لم ننتهز الفرصة، نحن ممرضتان رجعتان ولن ينظر إلينا».

ردت ناعومى «لست ممرضة رجعية نتحدث عن نفسك!! وعلى أية حال، أنا لا أريده أن يلتفت إلى!! ولا أفهم ماذا

أظن أن كل نساء المستشفى مجنونات به مجرد أنه نجم تليفزيونى».

قالت جلوريا بلهجة حاملة «ليس الأمر هكذا، ياله من شخص جذاب ساحر، لا تستطيعى إنكار ذلك».

فعلاً لا تستطيع إنكار ذلك، وهربت من خواطرها التى تتابعته، وقررت التركيز فى عملها ولا تدع نفسها فريسة لأفكارها عن لوك.

نادت إسم أول مريض «إيلين جاكسون».

جاءت إيلين جاكسون بصحبة أمها بمجرد سماع نداء ناعومى. كانت الطفلة وهى تجذب يد أمها، وتأكدت ناعومى أنها ليست حالة عادية.

ابتسمت مشجعة وتناولت يد الطفلة فى يدها

«ما المشكلة؟» وهى تدخل الطفلة إلى غرفة الفحص، وظلت الطفلة صامتة، وفهمت ناعومى أن عمرها إثني عشر عاماً؛ وحجمها صغير وتبدو أصغر من عمرها.

أجابت الأم «وقعت وجرحت ذراعها»

ردت ناعومى «سألنى نظرة، ثم نستدعى الطبيب».

عندما لمسها إرتعشت الطفلة ولم تقل شيئاً. وفهمت ناعومى أن الجرح ليس بسبب وقوع الطفلة بل لأن ذراع أحد كانت تجذبها وأثار الأصابع منغوسة فى ذراع الطفلة.

سألت الأم حتى لا تثير شكوكها «هل هناك جروح أخرى بسبب وقوعها؟»

«لا، لا، لا شيء».

قالت ناعومى بحسم «سأخذ إيلين لعمل أشعة إكس الآن، إنتظري هنا يا سيدة جاكسون».

«لكنني...».

وهي تقود الطفلة إلى غرفة الأشعة قالت لها «سنبقى لدقائق فقط».

أسرعت عبر الممر، والتقت بريتشارد وأبلغته «سوء معاملة لطفلة على ما أظن» وهي تشير إلى إيلين بجوارها.

«آه ياربى، كم كنت أود أن يكون لك هنا».

«وكذلك أنا» فهي تعرف مدى نجاح أسلوبه الساحر مع الأطفال.

وبنهاية اليوم؛ تمنيت ناعومى أن يساعدها عملها فى مطعم وبار حافة النهر على نسيان همومها. وإماتلات عيونها بالدموع وهي تتذكر الطفلة إيلين المسكينة وجسدها المحطم بالكسور بينما أمها تعرف الحقيقة وتكذب عليهم. ولم تفهم ناعومى سر ذلك التصرف الغريب. لكن لقد حدث ما هو أسوأ، لقد إتصل ريتشارد بقسم الأطفال، وبعد الفحص إكتشفوا أن إيلين تعرضت لضرب مبرح - وأيضاً لإغتصاب جنس من زوج أمها!! بعد مناقشة، قالت لهم أن كل شيء قد حدث بمعرفة الأم؛ وإرتعدت ناعومى وارتجف جسدها، وهكذا يكون الشر الحبيث، شيء فوق طاقة فهم عامة الناس. وقالت هذا سلوك شاذ تكسر عظام طفلة!!.

ولهذا تم إبلاغ الشرطة لتتعامل مع الأم وزوجها. انقضى بقية الأسبوع فى عمل شاق متواصل، وبمجيء نهايته، إبتابها السعادة وهي تودعه.

بمجرد وصولها المنزل فى لنجستون وبعد أن عانقها توبى وقبلها قال لها بمرح زائد «سباق الدراجات يوم الأحد» وهو يقفز هنا وهناك فى إثارة هائلة.

«آه!! لكن يا توبى ليست معى السيارة...».

رد توبى «سيوصلنا مات، لقد جاء أثناء الأسبوع وأخبرنى أن نستعد فى الثامنة من صباح الأحد، فالطريق طويل إلى سيفرستون».

ردت ناعومى «تقول أنه جاء، هل ذكر أن لك سيأتى معنا؟».

«لوك، لوك رودريك؛ أذكركم الرجل الذى أنقذ توبى من الغرق».

«آه؛ الطبيب الذى تعملين معه، حسناً، يا عزيزتى، لماذا لم تسألينه؟».

ردت ناعومى «لوك فى لندن طيلة الأسبوع، لم أقابله، لذا لا أدري».

ركزت العمة فلو إبتهاها «تتمنين مجيئه؛ حسناً؛ أخيراً، بحسب ما قاله توبى فهو شاب لطيف جداً».

غضغت ناعومى «لست مهتمة بلوك كرجل؛ فقط أتساءل إن كان سيحضر».

حسناً، سأضع طعاماً زائداً وعلبتي بيرة إضافية... عندما قرأت ناعومى قائمة الأطعمة التى أعدتها العمة لرحلتهم ضحكت وقالت «نحن سنخرج لنزهة يوم واحد وليس شهرين!!».

ردت العمة فلو «أنا حريضة على عدم إحتياجكم لأى شيء».

أشرق يوم الأحد ممطراً، لكن مع تبشير طقس جميل.

وجاء فى موعده، ووضع سلة الطعام وقال «ماذا بها؟ هل سنطعم كل فريق السباق؟».

سندباد وملاك الرحمة م ٤

ضحكت ناعومي «محمتمل جداً» .
 قطعوا الطريق بأسرع مما توقعتم، وتمتعت بمشاهدة الريف
 من نافذة سيارة مات الفاخرة. ولم يتحدث بشيء عن لوك،
 ولا هي سألته .
 سالها «ألم تذهبي أبداً إلى السباق العظيم؟» .
 «أبداً، لكن هذا ليس سباق الجائزة الكبرى،» أليس
 كذلك؟» .
 «يا فتاتي الغالية، ألم تقرأى الصحف؟ طبعاً هو سباق
 الجائزة الكبرى» .
 إجتاحتها مشاعر مضطربة، الجائزة الكبرى!! مؤكداً ديرك
 رودريجويس سيكون هناك. وقالت لنفسها كفى حماقة!! حتى
 لو كان موجوداً، لن يلتفت إليك وسط آلاف من المشاهدين .
 عند وصولهم سطعت الشمس، ولدهشة ناعومي؛ وضع مات
 شارة وألصقها على السيارة، وبدأ يتحرك على حريرة بين
 مسؤولي السباق. واخترق الجمهور الحاشد، ليوقف سيارته خلف
 قافلة السباق بألوانها الزاهية .
 أعلن مات «هذا مقر فريق راجازى» .
 على الفور أدركت أنه فريق ديرك رودريجويس، وبعدها
 ظهر لوك وجاء نحوهم، وتناول يد توبى. وقادهم ناحية موقع
 مسؤولي السباق .
 تابعته ناعومي فى قلق، وضايقتها رائحة الوقود، والعدم،
 وإلتفت لوك قائلاً «تقدمى يانا ناعومي، لقد وعدت توبى ليقابل
 أخى قبل بدء السباق» .
 أخيه!! وأسرعته خلفهم؛ سيكون كل شيء على مايرام،
 كان يجب أن تفهم أن ديرك رودريجويس، هو أخيه .

أغابا عن ناظرها لحظة، ثم رأتهم وسط الزحام وكاميرات
 التليفزيون وبجوار فريق ريجازى .
 كانت بعض السيارات تستعد للانطلاق، لمحت لوك يضع
 ذراعه فوق كتف سائق يقف بجوار سيارته، ثم إلتفتوا إليها فى
 ثانية خاطفة. أمسك السائق بالخذوة فى يده، ونظر إلى توبى ثم
 إليها. إنه ديرك رودريجويس، وعندما نظرت ناعومي إلى توبى
 بجواره لم يعد لديها أدنى شك أنك فعلاً أباه. توبى صورة مصغرة
 منه .
 جاءها صوت لوك «ناعومي!!» تكررت نظرات ديرك إلى
 توبى ثم إليها .
 تقدمت «ديرك أنا..» لكن فجأة أصبح لوك بجوارها وقال
 «مهما كان يجب الانتظار، فهو على وشك بدء السباق» .
 جاء مدير السباق ليسوى خذوة ديرك على رأسه والقناع فوق
 وجهه ولكن ديرك لم يزل ينظر إلى توبى، وانطلق بسيارته
 واختفت وسط سحب زرقاء .
 صاح توبى «أليس مثيراً»
 «نعم» ردت ناعومي وهى تحاول الابتسام .
 قال لوك «أليس كذلك؟ كنت دائماً أعرف أن نظراتكم
 تقول المزيد لكن ليس هكذا، أبداً!!» .
 «لكن...» حان الأوان يجب أن تضارحه بقصة تيفانى .
 جذب مات ذراعها ويد توبى «هيا تعالى، لماذا تقفون
 هنا؟» .
 ظل لوك واقفا مكانه، وهمس لمات بشيء، وغاص عقل
 ناعومي بخيالات شتى، وهى تستغرب كيف يكون ديرك شقيق
 لوك؟ لكنه شقيقه، وهذا هو سبب الشبه بين لوك وتوبى .

قال لها مات «ديرك رودريجيوس ليس اسمه الحقيقي، بل
إسم الشهرة في عالم سباق السيارات، اسمه الحقيقي ديرك
رودريك».

إنتهت ناعومي على صوت مات هادراً «الأحق المجنون،
ماذا يظن؟»

إلتفتت ناعومي «ماذا حدث؟» ثم لمحت السيارة الحمراء
والزرقاء وبخطوط صفراء إحترقت إطاراتها على المضمار وديرك
يدفع السيارة إلى الركن.

«لو ظل يقود هكذا لن يستمر في السباق!!».

سألته ناعومي «مثل ماذا؟»

«مثل المجنون، دائماً يحترق الزوايا والدوران بمهارة وخفة،
لكنه لا يلتفت لأى خطورة!!».

جاء صوت مذياع السباق عبر الميكروفون «لقد وقع تصادم،
خرج سائق من السباق، أظنه ديرك رودريجيوس.. نعم، هو،
السيارة تشتعل، ويحاولون إخراجها، آه ياربى، ياله من حادث
مؤسف».

أسرع مات إليه، وتبعته ناعومي، وهى تجذب توبى معها،
وجدت مات فى حديث مع لوك.

جاء لوك ليقول لها «إصطدم لأنه لم يركز فى قيادة
السيارة» كان صوته هامساً، واجتاحها خوف وهلع ماذا لو
مات ديرك، ستكون غلظتى!!.

إنصرف لوك وتركها بصحبة توبى، وهى غارقة فى مخاوفها
وقلقها.



الفصل العاشر

المطاردة

مضت بقية الظهيرة فى كآبة وحزن، وظلت ناعومي ممسكة
بيد توبى وهى تسير خلف مات حيثما ذهب، فهى لا تدرى ماذا
تفعل، ووقفت بجوار مات صامتة وتشاهد ديرك فاقد الوعي،
وهو ينتقل فى سيارة إسعاف، وعلى وجهه قناع أوكسيجين.
كان وجه لوك ممتقماً وهو يجلس بجوار أخيه، قبل أن يغلق
باب الإسعاف.

ظلت تتبع خطى مات، وعادوا إلى مقر فريق راجازى،
حيث الصمت يطبق على الجميع، وأنجواء الكآبة تسيطر عليهم.
ودعت ناعومي فى سرها ألا تكون إصابة ديرك خطيرة جداً؛
حتى تستطيع عمل ماعجزت عنه طيلة أعوام، أن تجمع شمله
مع طفله توبى. والآن أصبح لديها إحساس واضح بالواجب
تجاه ديرك وتوبى، وكان يجب عليها الإتصال به منذ البداية.
أما الآن لم يعد أمامها سوى الإنتظار والدعاء ألا يكون الأوان
قد فات!!.

مازالت كلمات لوك تهر فى مسامعها «لو مات، ستكون
غلظتك!»

تحدث لوك تليفونيا مع مدير الفريق ثم مع مات ، وقال أن ديرك أصابته حروق ، لكنها ليست خطيرة احترقت ساقيه وذراعه ، لكنه الأسوأ أنه لم يستعد وعيه ، والآن سيتم عمل أشعة على المخ .

أعادها مات هي وتوبى إلى المنزل ، كانت رحلة طويلة صامتة ، لم تفتح سلة الطعام ، ولم يستطع مات لمس أى شيء ، فقط توبى هو الذى أكل ، بشهية محدودة .

عند وصولهم إلى الكوخ ساعدهم مات على النزول من السيارة ، وترددت ناعومى وهى تبحث عن كلمة تقولها وتوبى يتعلق بها قلقاً خائفاً .

تناول مات وجه توبى بين كفيه وقال «إنها مخاطرة يتعرض لها الجميع ، يا توبى ، ديرك كان يعلم أن ذلك قد يحدث له ، مع ذلك لم يتوقف عن قيادة السيارات» . وغرس أصابعه وهو يداعبه فى شعر رأسه «انتظر لترى يا توبى ، سيعود سريعاً ليقود السيارة ، وسنذهب لنشاهده ، ستؤكد عليه ألا يصطدم مرة أخرى» .

ابتسم توبى «لن يموت إذن ؟»
«ياربى ، لا ، كيف فكرت هكذا ؟»

فى صباح الإثنين ذهبت ناعومى إلى قسم الطوارئ فى المستشفى ، وذهنها مشغول بما جرى لديرك . لم يكن لوك موجوداً وقالت مورفى لهم أنه إتصل ليبلغها أن شقيقه وقعت له حادثة تصادم فى سباق السيارات ؛ وأنه موجود بجواره فى المستشفى .

بعد إنصراف مورفى صاح ريتشارد «تحملوا ديرك سائق سيارات السباق الشهير شقيق لوك ونحى لانعرف !!»

ردت ناعومى «كيف تعرف ، الإسمين مختلفين»

قالت جلوريا «يا لها من إثارة الشقيقتان مشهوران !! أتمنى أن يحضر ديرك هنا ، دائماً كنت أظنه رائعا» .

قالت ناعومى «لو عاش ، مازال فى غيبوبة» .
سألها ريتشارد بفضول «كيف عرفت كل هذا ؟» .

ردت ناعومى كذباً «آه .. سمعتها من الراديو» واسرعت إلى عملها قبل أن تفاجىء بأسئلة أخرى .

بعد نهاية عملها فى المطعم ليلاً ، عادت إلى غرفة نومها ؛ فى الظلام تحت الأشجار بدا ذهنها مزدحماً بالخيلات والأشباح ، وترددت كلمات لوك فى مسامعها «لو مات ستكونين أنت المخطئة» كانت كل كلمة مثل سكين حاد تنغرس فى قلبها .

بمجرد أن استلقت فوق سريرها غلبها الإرهاق وغطت فى النوم . وفى الصباح أوقظتها الشمس قبل أن يذق جرس المنبه ، وعادوتها أفكارها ، وهى تقول لنفسها ديرك هو والد توبى ، وشقيق لوك . وسيسترد وعيه .

عندما وصلت المستشفى وجدت لوك فى مكتبه ، همست إلى مورفى «كيف حال أخيه ؟» .

«مازال فاقدًا للوعي ، رغم سلامة المخ ، لقد ظل بجواره ، لذا يجب أن نبذل قصارى جهدنا للتخفيف عنه» .

ردت جلوريا «طبعاً سنفعل ، ولو أن العمل سيربجه أكثر» .
أومأت مورفى ناحية ناعومى «نعم ، أظنه نفس شعوره ،

أيضاً ، سيقوم بفحص الحالات المحولة هذا الصباح إذهى ياناعومى وأحضرت التقارير» .

«ردت ناعومى «نعم» .

أحضرت التقارير الطبية ، وتوقفت قليلاً لتبادل الحديث مع موظفة الاستقبال ، الثرثرة التى تحب القيل والقال ، وهى تسأل

عن لوك وشقيقه المصاب المشهور كسائق سيارات سابق .
 عندما رآها ريتشارد قال لها «تبدنين شاحبة للغاية؟» .
 ردت ناعومي «أنت الطبيب، ماذا تشخص لحالتي بعد
 السهر كل ليلة؟»
 لم يرد جواباً وإكتمى بالنظر إليها .
 بمجرد دخولها مكتب لوك تمننت أن تسأله عن حالة ديرك ،
 كانت الكلمات على طرف لسانها، لكنها بدلا من ذلك قالت
 «التقارير» .
 قال لوك بهدوء «كنت أتوقع أن تسألي عن عشيقك
 السابق؟»
 تلعثمت «ديرك ليس ..»
 «آه، لا، طبعاً لا، نسيت أنك لا تعرفين من يكون والد
 نوبى!! حياتك مليئة بالرجال، لذلك لا تعرفين من منهم
 الوالد؟ ولا تتذكرين ديرك!! سأقول لك شيئاً، لقد تذكرت
 شقيقى جيداً، وبسببك وقع التصادم، بسبب امرأة تافهة لم تهتم
 بتذكره؛ أو احاطته علماً بأنه والد طفلها» .
 كانت لهجته تقطر احتقاراً لها ولذا دون وعى منها رفعت
 يدها عالياً وصفعت على وجهه، وتورد جانب وجهه، وكأن
 كفها إنطبع عليه .
 مد يده غضباً وأمسك بها «لماذا أيتها الصغيرة...!!» .
 تراجعت ناعومي «لن تجرؤ على لمسى، ولا التحدث معي
 هكذا، لست مدينة لك بشرح أى شيء؛ ولن استمع إلى
 بذاتك» .
 إجتاحتها الغضب، وسيطرت على خيالها صورة أختها
 تيفانى، ربما كانت ساذجة وعنيدة، لكنها لم تكن مستهترة،

هذا ماثق به . لكن شقيقه الغالى؛ ديرك، هو الذى كان
 هكذا؟ لم يهتم أبداً بما حدث لتيفانى . لو فعل شيئاً، لكان قد
 عرف منذ أعوام أن له طفلاً أنجبه تيفانى؛ وأنها توفيت . لكنه
 لم يشغل باله بها .
 إنطلقت كلماتها الغاضبة كالسيل أو كالسوط تصفحه
 «شقيقك هو المستهتر، لقد قرأت الصحف وعرفت غرامياته،
 والبنات اللاتي يرتبط بهن، وأظنه لا يعرف عددهن!! آسفة
 لوقوع حادث له وإصابته، لكن هذا لا يعطيك الحق
 لاستنتاجات خاطئة . دائماً الرجال هكذا... يزعمون سلامة
 أفعالهم!! لماذا كل مايفعله صحيح، بينما تظن أننى غطتة فى
 أى شيء أفعله؟» .
 لم تنتظر إجابته وغادرت المكتب فوراً، وأغلقت الباب
 خلفها حتى سمع صوت ارتطامه . كان ريتشارد وجلوريا يقفان
 عند مكتب الإستقبال ينظران فى دهشة .
 قالت ناعومي جلوريا «ستقومين أنت بمساعدة لوك، ومن
 فضلك لا تسألينى عن السبب!!» .
 فى صمت إتجهت جلوريا إلى مكتب لوك ومن حسن الحظ
 أن مورفى ذهبت لحضور إجتماع رؤساء التمريض ولن تلغظ
 لتغيير برنامج الورديات، ولذا لن يكون هناك ضرورة للتفسير .
 عادت جلوريا لتقول لريتشارد «لا أدري ماذا حدث له مع
 ناعومي لكن أعصابه منهارة . لحسن الحظ أننى لم أخطئ . لو
 فعلت لكان سحقنى بيديه»
 حقاً؛ كانت ناعومي على وشك البكاء، والأسى والحزن
 يجتاحها غاضبة من تجريحه لها . لكنه لا يعرف الحقيقة، فقط
 يمارس أنانية الرجل المعهودة .

في نفس الوقت تمنيت لو لم تنفجر غضباً؛ ولكانت أخبرته
 بهدوء بالحقيقة وحكت له قسوة أخيه وعدم إهتمامه بأختها
 تيفاني، وتجاهله لها. يا لها من حكاية قديمة عن هجران الرجل
 للمرأة عندما يسأم من حبها!!
 ظلت بقية اليوم غارقة في نيران غضبها، بعد الإنصراف
 ذهبت إلى عملها في المطعم.
 «يا ربى ماذا جرى؟ إجلسي وتناولى قطعة
 لحم وسلطة». الله ربنا وحده ما شاء له وقها
 نظرت متشككة «لحم؟» العاملين لا يأكلن شرائح اللحم
 عادة!!
 تناولها قبل مجيء الباقيين!!
 حكّت لها ناعومي قصة شقيقتها وديرك، وتوبي.
 أنصت موللى صامته ثم قالت «حسنا، يا حبيبتي، تعرفين
 ما يجب أن تفعلينه؛ أليس كذلك؟»
 «أظن ذلك»
 بعد إنتهاء عملها أوصلها جيم، وهي تغلق باب السيارة
 قالت له «شكراً، وهي تسير كمادتها في الشارع الظليل المظلم،
 وغارقة في همومها وأفكارها، لم تشعر بوقع أقدام خلفها؛ حتى
 جذبها يد قوية بعنف من كتفها؛ ولفّت رأسها للخلف، بينما
 اليد الأخرى تمسك بأعلى البلوزة بعنف.
 كان الرجل ضخيم الجسد، يده قوية، وجذبها نحوه، كانت
 أنفاسه ملوثة برائحة الخمر، وهو يجادل بشكل حيواني إيقاعها
 على الأرض.
 قالت لنفسها يجب أن أصرخ عالياً، أطلب النجدة، وتحاول
 تذكر دروس الدفاع عن النفس التي تعلمتها في المدرسة،

فتحت فيها وحاولت أن تصرخ، لكن صوتها خانها، وكان
 حلقها مشلول، بينما مزق الرجل المخمور البلوزة، وإمتدت يده
 إلى السوتيان، وهكذا أيقظت حيوانيته كل عقلها وصاحت
 بأعلى صوتها وركلته بكل قوتها، وصاح مثلاً. وركلته مرة
 أخرى، بكل قوة وقسوة وغضب، وارتخت قبضته قليلاً،
 وتملصت وأسرعت بالجري.

واصلت الجري وهي تصرخ طول الطريق بدون وعى وهي
 تسمع الرجل خلفها، وهي تسرع حتى خلعت الحذاء لتسرع،
 وتدعو الله أن يسمعها أحد!! وتواصل الدعاء مرة والصراخ مرة
 أخرى، وفجأة انفتح باب أحد المنازل، وأضيئت أنواره، وخرج
 رجل عند الباب، وحدث الله؛ إنه «لوك!!» سمعت صراخها
 تهتف بإسمه.
 إنطلق في الظلام، وأقبل عليها وهو يهمس «إنتهى الأمر
 الآن».

تعلقت به، وهي تسمع وقع أقدام الرجل الذى يطاردها
 تخفى في الظلام.
 وألقت برأسها فوق صدره، وهي تطمأن لسماع دقات قلبه.
 لقد قام لوك بكل شيء، أبلغ الشرطة، وأصر على تناولها
 قرص مهدى؛ وإرتاحت عندما عرفت أن ديرك تجاوز مرحلة
 الخطر.

قال لوك مبتسماً «لا تقلقى، يا ناعومي، سيتغير كل شيء
 لصالحك وسوف ترين!!»
 «لكن يا لوك..» حاولت أن تقول له الحقيقة، وتراجعت
 قائلة في سرها، ليس هذا أوانها.
 وهي تغيب عن العالم وتنام شعرت وكأنه قبلها قبل إنصرافه
 من الغرفة.
 هل هو حلم أم حقيقة؟



الفصل الحادى عشر

المواجهة

استلقت ناعومى هادئة لدقائق، وهى ترقب أشعة الشمس الذهبية وهى تغطى وتفرش أرضية الغرفة. وهى تشعر بكامل حيوتها، حتى داهمتها ذكرى ما حدث ليلة أمس تدريجياً. تذكرت أن لوك هو منقذها ليلة أمس؛ لكن اليوم لن يحول أحد دون قيامها بما قررت فعله. يجب أن تذهب لترى ديرك؛ وتخبره بحقيقة تيفانى وتوبى، الطفل الذى تعهدت ناعومى بتربيته وكأنها هى التى أنجبته. لكنها تعترف بشكوكها أنه والد الطفل وهذا يؤلمها. وهذا سبب صمتها طيلة كل تلك السنين. بعد فترة أخذت حماما وارتدت ملابسها؛ بينما وقفت سيارة لوك خارج المنزل. لقد جاء دون إ اتفاق. رغم لطفه ورقته فى التعامل معها تشككت أنه سينفجر غاضبا عندما يعرف أنها أخضت الحقيقة عن شقيقه. لكنها أصابها جحيم غضبه، ولا ضرر من تكراره. لقد جاءت لحظة المواجهة.

هبطت السلم وسارت عبر الصالة وهى تتمنى أن تفكر فى أى شىء مناسب لتقوله، لكنها شعرت بعصبيتها.

سألها «مستعدة؟»

«نعم».

لم تكن بحاجة لسؤاله عما إذا كان قد أخبر مورفى بغيابها، لأنه قام بكل الترتيبات، فهى تعرفه الآن لا يترك شىء للمصادفة.

مراراً فتحت فيها لتتطرق بالحقيقة ثم تفرق فى صمتها. فى النهاية إستجمعت شجاعته لتقول «هل أخبرك ديرك بشىء؟ عنى، أقصد».

«لا».

«آه، أظن ربما...» وتلعمشت، وهى تجمع الحذاء الذى يضيق بقدمها.

حلق لوك فيها، وقال لها «سأتركك مع ديرك للمواجهة والتصالح، لن أتصنث عليكما. لكن من فضلك، تأكدى، أننى أريد أن أراكما فى منتهى السعادة والإستقرار وأتمنى مستقبل باهر لتوبى».

لكن ديرك وأنا...»

«لا يهمنى التفسير، كما أخبرتنى من قبل، أن هذا شأنك وليس من شأنى».

وصلوا إلى المستشفى، وقادها إلى غرفة ديرك، كان مستلقياً قلقاً لوصولها، مازال محوطاً بالضمادات لكنه استعاد وعيه.

قال لوك بإختصار «سأنصرف».

لدهشتها لقد جاءت سعادتها لقد تخلصت من عبأ ثقيل أثقل كاهلها لسنين.

لقد صارحت ديرك بالحقيقة وأسعدها معرفة أن ديرك لم

يسأل لأن تيفاني لم تخبره أبداً بإسمها كاملاً. وكانت تداعبه دائماً بقولها ساكون المرأة الغامضة فى حياتك!!

قال ديرك بجزن وأسى « كانت واثقة من صوابها، لو فقط كانت تثق بى ».

قال لها أنه أحب تيفاني، لكنها لم تحب الاستقرار، حتى شركة الدعاية لم تكن تعرف إسمها كاملاً، كانت بالنسبة لهم تيفاني وكفى!! وعندما إختفت بدت وكأنها شبح لا أثر له.

اتفق الإثنين ديرك وناعومى على مصارحة توبى بالحقيقة، لكن بعد أن يكبر بما يكفى لإستيعابه. وأوضح له ضرورة إقامة توبى مع أسرة يعولها رجل، وليست كلها نساء!!.

وقال لها « لن تدفع أو تتعجل الأمور، لكن يجب تدبير ما هو الأفضل لصالح توبى على المدى الطويل ».

ألمح لها أنه لم يتزوج، وابتسمت ناعومى وقالت مازحة « شقيقك العزيز، يظننى أنا وأنت حبيبان، ويظن أن توبى إبنى، ويتمنى أن يرى شملنا قد إلتأم من أجل مستقبل توبى ».

ضحك ديرك « لوك يظن هذا، فهو رجل من الطراز القديم، لماذا لم توضحى له ؟ »

ابتسمت له وظلت صامتة. « حسناً ؟ » كررها ديرك مؤكداً سؤاله.

« التكتّم، أظننى جزئياً، لم أجد الفرصة لمصارحته، وداثماً كان يشير أعصابى!! ».

« آه، أحياناً ؟ لكننى أظن لوك .. سأفعل شيئاً لتوبى سيحظى بموافقتك ».

« أنا واثقة منك ».

عندما غادرت غرفة ديرك وجدت لوك منتظراً خارجها. بصحبة رجل لم تراه أبداً من قبل، قلعه لها « هذا تشارلز، عضو فى فريق ديرك؛ سيوصلك إلى لنيجستون وأنا مرتبط بعمل ».

وأوماً إلى تشارلز « أوصلها بأمان ».

ظلت صامتة حتى وصلت المنزل والسعادة الممزوجة بالقلق تعوطها.

تجولت على الشاطئ ناحية الطاحونة كان اليوم جميلاً؛ الطيور البرية تملأ الشاطئ والسما، كان عقلها يطير معها تأملاً فى المستقبل غير المنظور، ماذا يخفى لها المستقبل بين طياته ؟؟.

سمعت صوت لوك « لماذا لا تحكى لى عن تيفاني ؟ ».

« حسناً، أنا .. »

« تعمدت جعلى أعتقد أن توبى إبنك، ومازلت مصممة حتى بعد مقابلتك ديرك ».

« لأنك دائماً تدفعنى لذلك، دائماً تقفز للنهايات الخاطئة .. لم تهتم بالإستماع لروايتى أبداً، حتى فى الصباح؛ عندما حاولت إخبارك جعلتتى أطوى لسانى داخل فى ».

أضافت وهى تحاول كبح جماح الغضب « عموماً، ربما كان الأفضل أن أصارحك من البداية، لكننى تراجعت لأن ذلك لايهمنى، لكن بعد ذلك .. ».

قاطعها بصوت حاد « لايهمك ؟ لايهمك فىم أفكر ؟ ».

« نعم، لايهمنى .. أقصد طبعا أفكارك السوداء السيئة عنى، وجرح كرامتى؛ دائماً كنت مدينة بالولاء لأختى ».

« أنت حقاً ؟ أنترفين ذلك ؟ ».

عاد لإبتسامته وهو يقول لها « هناك كلام كثير يجب أن

نتبادله لكن، يمكن إرجاؤه الآن». «لكن..»

وتلاقت الشفاه والطيور البرية تشكل كورالاً مع أنغام الطبيعة وأمواج البحر، والسماء تضيء شمسها لهم. وكان الطبيعة حشدت لهم كل ما فيها من جال وتشاركهم الفرح وهو يسألها:

«هل تقبلين زواجي؟»

«هل تدري كم أحبك؟»

«أعرف منذ أول دقيقة، عندما تقابلنا، أن خلف دماغك العنيدة، هناك قلب لا يحجب نبع عواطفه».

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»

«... أنا...»